الحسبة على الأسواق في مصر الفاطمية (٣٥٨-٥٦٧هـ/٩٠٩-١١٧١م)

م.م مصطفى ياسين ثامر الجبوري
جامعة بابل – كلية التربية الاساسية – قسم التاريخ

Calcultion of the markets in Fatimid Egypt (358-567H/969-1171M)

Mustafa Yassin Thammir
University of Babylon- College of Basic Education-Department of History
bas488.mustafa.yassin@uobabylon.edu.iq

الملخص:

تهدف هذه الدراسة (الحسبة على الأسواق في مصر الفاطمية)، الى الوقوف على هذه الوظيفة الادارية والدينية في العصر الفاطمي منذ دخولهم البلاد المصرية وحتى نهاية حكمهم في نهاية القرن السادس للهجرة، وما طرأ على الحسبة من تغيير في رسومها وتوليتها في الفترة المذكورة، وقد أشتملت هذه الدراسة على مجموعة من المفردات التي حوالنا فيها بمقدر ماتيح لنا من نصوص تاريخية من معرفة نظم الحسبة ومن تولاها وطرق العمل بها من ادوات التنفيذ ووسائل المساعدة التي اتيحت للمحتسبين في العصر الفاطمي من القيام بها في ألاسواق تنفيذا لمبدء الامر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وتطرقنا الى ما صاحب هذه الوظيفة من تطور ملحوظ وبارز نتيجة لتطور ألاسواق في العصر الفاطمي وتوسع التجارة ونمو الحرف والصناعات التي أنعكست بشكل واضح على الحسبة، وقد تكونت هذه الدراسة من عدة محاور يقع في مقدمتها تعريف الحسبة في اللغة والاصطلاح ثم دراسة الوظيفة بشكل موجز في القران وعصر النبي الكريم محمد(ص)، والخلفاء الاربع من بعده ثم تطرقت الدراسة الى المحتسب وتوليته في العصر الفاطمي ونظم عمله، وبعدها تناولت بشيء من التعداد أسواق القاهرة والفسطاط في عصر الدولة الفاطمية للوقوف على أهم مراكز الحياة التجارية في العصر الفاطمي باعتبارها مكان عمل المحتسب والدراسة ايضا، ثم أشرنا الى الحسبة والمحتسبين في العصر الفاطمي ابتداءً من بداية الحكم الفاطمي لمصر في القرن الرابع الهجري حتى نهاية حكمهم للبلاد المصرية، وتوصلنا من خلال دراسة الحسبة في مصر في العصر الفاطمي الى، أنها جمعت بين الوظيفة الدينية والادارية في أن واحد، وأن الخلفاء الفاطميين قد أولوا الحسبة من الاهتمام شيئا كبيرا لا يقل عن نظيرتها من وظائف القضاء والمظالم، لما لها من أهمية في تثبيت سلطانهم وعلوا شأنهم، حتى أن تولاها من خلفائهم لإدارة شؤونها بنفسه، أما عن المصادر التي اعتمدت في الدراسة فالمصادر الخاصة بالحسبة كانت في مقدمتها كالأحكام

السلطانية للماوردي وأبي يعلى كونها تناولت بشيء من التفصيل هذه الوظيفة بنظمها وترتيبها وطرق القيام بشؤونها منذ بداية الدولة الاسلامية في عهد الرسول الكريم محمد، ثم المصادر التاريخية التي تناولت الدولة الفاطمية كالخطط المقريزية للمقريزي الذي يعتبر بحق مؤلف الفاطميين ومدون تأريخهم السياسي والحضاري والاداري في مصر ، وكذلك كتاب أخبار مصر للمسبحي الذي اظاف الى الدراسة مالم نجده في الكتب الاخرى، واخيرا ماكتبه المؤرخين المصريين المتأخرين عن الخلافة الفاطمية في مصر كالنظم الفاطميين ورسومهم في مصر لعبد المنعم ماجد وكذلك الاسواق في العصر الفاطمي للمؤلف عبد المنعم سلطان وغيرهم.

الكلمات المفتاحية: الحسبة، الأسواق، مصر الفاطمية

Abstrast

This study (Hisbah on Markets in Fatimid Egypt) aims to examine this administrative and religious function in the Fatimid era from their entry into the Egyptian country until the end of their rule at the end of the sixth century AH, and the changes that occurred to the Hisbah in its fees and assignment in the aforementioned period, and it included This study is based on a set of vocabulary that we have examined to the extent that historical texts have made it possible for us to know the Hisbah systems, those who handled them, the methods of working with them, the tools of implementation, and the means of assistance that were made available to the hisba in the Fatimid era to carry out them in the markets in implementation of the principle of enjoining good and forbidding evil

We touched on the remarkable and prominent development that accompanied this function as a result of the development of markets in the Fatimid era, the expansion of trade, and the growth of crafts and industries, which were clearly reflected in the hisbah. The study on the hisbah in Egypt in the Fatimid era concluded that it combined the religious and administrative function at the same time, and that the caliphs The Fatimids paid great attention to the Hisbah, no less than their counterparts in the judiciary and wrongdoings, because of their importance in establishing their authority and elevating their status, to the point that their successors took it over to manage its affairs himself.

Keywords: Calcultion, markets, Fatimid Egypt

المقدمة:

من المبادئ الاساسية التي جاء بها الدين الاسلامي الحنيف هي الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والتي أكد عليها وأصرعلى تطبيقها في كافة مفاصل الحياة، وبما أن الدين الاسلامي نزل كرسالة على النبي الكريم محمد(صلى الله عليه واله وسلم)، فهو بذلك يكون اول المحتسبين في تاريخ الدولة العربية الاسلامية، من أجل ان يامر بالمعروف ليعم الخير، وينهى عن المنكر ليمحق الشر، وفيما بعد تطورت الدولة العربية وتوسعت وظهرت الحاجة الماسة للحسبة كوظيفة ادارية مستقلة متعلقة بحياة المجتمع ومتطورة مع التطور الحاصل في كافة ارجائه، ومايميز الحسبة كوظيفة أنها تتميز بكون اركانها وشروطها ومبادئ تطبيقها هو نهج تربوي رصين يهدف الى الحفاظ على الحقوق وعدم الاعتداء على الغير بأي شكل من أشكال التعدي.

وفي الدولة الفاطمية نرى بأن وظيفة الحسبة وصلت مالم تصل اليه هذه الوظيفة في بقية أمصار الدولة العربية الاسلامية من حيث رسومها وترتيبها وسجل من تولى النظر فيها أنتهائا عند طرق تطبيق أحكامها على الرعية، متبعين بذلك سنة النبي الكريم محمد (صلى الله عليه واله وسلم)، وألائمة ألاطهار، أذ أسندوا الحسبة الى أشخاص وجدوا فيهم من السيرة الحميدة ممن يقتدي بالنبي واله في تطبيق السنن، على أن الحسبة منذ نهاية القرن الثالث للهجرة وحتى نهاية الدلولة الفاطمية في مطلع القرن السادس هجري قد وضحت ملامح جديدة في تكوينها ةتنسمت بأشياء رفعت من شأنها وزادت في سعة سلطانها بين وظائف الدولة الادارية.

أولأ–تعريف الحسبة لغة واصطلاحا:

أولا–الحسبة في اللغة: الحسبة في اللغة العربية تأتي بكسر حرفها الاول وهو اسم مصدر للفعل أحتسب يحتسب أحتسابا[١]، اوردت معاجم اللغة العربية تعاريف متعددة لهذه الوظيفة، وتنوعت هذه التعريف على حسب راي صاحبها وتفسيره لها، الا انها تقع في مجمل الاحوال على معنى واحد ومن هذه التعاريف ماذكرها أبن منظور بأنها ، حسب الشيء أي يحسبه حسابا وحسابة وحسبانا بمعنى عد الشيء[٢].

أما صاحب كتاب القاموس المحيط فقد ذهب الى القول بأن الحسبة يراد بها التعرف على الاشياء والتحري عنها[٣]، ومن هذا التعريف اشتق الزبيدي وظيفة صاحبها فيقال هذا محتسب البلد ، اي من تولى زمام القيام بها وادراة شؤونها.

أما الازهري فقال فيها من تحسب في الشيء وتدبر فيه ونظر في الامر[٤]، وذهب ابن زكريا الى من حسن تدبير الشيءوعلم بما يصلح الاعمال بوضع الامور بمواضعها الصحيحة الصالحة، وسند عمله بها الى الرأي السديد قد زينها بميزان الصلاح[٥].

في حين ذهب اخرون الى تعريف الحسبة من منظور اخر بالقول بأنها: احتساب طلب الاجر عند الله سبحانه وتعالى[٦] ، والصبر على المصيبة عند وقوعها[٧].

وقد عرف الماوردي وابي يعلى في الاحكام السلطانية[٨]،الى ان الحسبة أمر بالمعروف اذا ظهر تركه، والنهي عن المنكر اظهر فعله، وقد بنيت هذه التعاريف بمفهومها الى الاية القرأنية في قوله تعالى : ﴿وَلْتَكن مِنْكُم أُمة يَدْعُونَ إلى الخَيرِ ويَأمُرونَ بالمَعْروفِ وَينْهَونَ عَن المُنْكَر ﴾[١٠]، وقد حبب الله لنا الخير وامرنا بالدعاء له، وكره لنا المنكر ونهانا اليه، وعلى ضوء ماتقدم من التعرفات المذكروة يمكن القول بأن الحسبة تقوم على عدة امورمنها:

١. حسن تدبير شؤونها والنظر في امرها.
٢. الصبر على الامر بالمعروف والشجاعة على نهي المنكر.
٣. عدم التأني في فعل الخير وإشاعته والقضاء على المنكر والقبائح.
٤. أن يحيط العامل بها علما بأن اجر الحسبة عند الله سبحانه وتعالى.

ثانيا–الحسبة في الاصطلاح:

أختلفت المصادر العربية الاسلامية في تعريف الحسبة اصطلاحا، فمنهم من عرفها بالقول انها وظيفة دينية تقوم على اساس الامر بالمعروف والنهي عن المنكر[١٠]، مستدلين بذلك الى القران الكريم بسورة ال عمران، على أن المصادر الاسلامية التي ذهبت الى القول بهذا التعريف لم تعطي للحسبة كوظيفة المعنى التام لها، اذ انها اقتصرت وحددت الحسبة على انها وظيفة دينية بحته قائمة على اساس الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ولم تشير الى دورها في ضبط امور المسلمين والحفاظ على تعاليم الدين الاسلامي والتحري عن الاشياء التي حرمها الدين الحنيف ونهى عنها،بمعنى ان هذه التعاريف اشارت الى ان وظيفة الحسبة ماهي الا تطوعية قائمة على مااشير اليه، فالتحري عن الاشياء والامور العامة بالمسلمين والبحث على مايشك بخصوص ذلك هو مااتفق عليه في تعريف الحسبة، وبالخلاصة فأن التعاريف التي تشير الى المدلول الديني للحسبة دون غيره من الدلائل الاخرى هي تعاريف غير جامعة لها.

وقد ذهب بعض المسلمين الى ان اوسع مما اشير اليه مسبقا بالقول ان الحسبة امر بالمعروف ونهي عن المنكر واصلاحا بين الناس[١١]، وهذا التعريف يحمل اوسع مما ذهب اليه

الماوردي واخرون في واجبات ووظائف الحسبة، اذ انه اظاف للحسبة ركن ثالث غير الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو الاصلاح بين الناس بحسب مايراه صاحب التعريف.

أما الحسبة عند أبن خلدون فقد اخذت منحى اخر، اذ يراها " اما الحسبة فهي وظيفة دينية، من باب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، الذي هو فرض على القائم بأمور المسلمين يعين بذلك من يراه اهلا له"[١٢]، وظيفة يتولاها القائم بأمر المسلمين (الخليفة او الوالي)، او من يراه القائم على المسلمين اهلا لهذا الوظيفة يتولاها لادارة شؤون وتدابير امور المسلمين، اذ نستدل من هذا التعريف ان ابن خلدون جعل منها وظيفة من وظائف الخلافة.

أدى تطور مفهوم الحسبة وتعريفها في الاصطلاح دفع بعض المصادر الاسلامية الى تعظيم شأنها وحسن تدبير فصاحب كتاب نفح الطيب[١٣]، يرى ان الحسبة عند المسلمين قد وضعت عند اهل العلم والفطن، ووصف من تولى شؤونها بأنه اشبه بالقاض.

أن تعريف المقري وهو من اهل الاندلس توفي في القرن الحادي عشر للهجرة يبن لنا مدى التطور الواضح الذي وصلت اليه الحسبة كوظيفة عند المسلمين، اذ اشار الى ان من يتولاها يجب ان يكون من اهل العلم والعلماء وصاحب فطنة ولديه في تدبير شؤون المسلمين مايمكنه من القيام بمهامها.

وقد عرف خليفة[١٤]، الحسبة بالقول " علم باحث بين الامور الجارية بين اهل البلد من معاملاتهم التي لايمكن التمدن بدونها، من حيث اجرائها على قانون العدل، بحيث يتم التراضي بين المعاملين"، واضاف اليها ايضا ان تقوم بنهي العباد عن المنكر والامر بالمعروف بحيث لايؤدي ذلك الى المشاجرات بينهم وتفاخر بعضهم على بعض، بحسب مايراه الخليفة او صاحبه في معاملات الناس، وبهذا التعريف يضاف الى الحسبة شيئا اخر وهو الرقابة على الناس وعلى معاملاتهم الجارية والرقابة على العبادات، وايضا فقد اضاف خليفة ان الحسبة يتولاها الخليفة او يقضي بعض امورها حسب رأيه اي الاجتهاد به، ومن خلال ماتقدم من عرض تعاريف الحسبة لدى كتب المسلمين نرى انها فرض من الفرائض التى اوجبها الدين الاسلامي على جميع المسلمين المكلفين لآدارة شؤون دينهم ودنياهم، ووجدت عليهم لمقتضيات الظروف والوقائع التي تطلبها المجتمع الاسلامي عليهم، وهي بذلك تهدف الى مصلحة المسلمين والحفاظ على حقوقهم وتحمي المجتمع من الانحراف والتدني والفساد والقضاء على كل شكل من اشكال الانحلال التي قد تصيب مجتمعهم، أذا فالحسبة وظيفة وجدت لحاجة الدولة لها كسائر الوظائف، مستقلة بشؤونها واحكامها وقوانينها، لكنها تتصل بالناحية الدينية من حيث الاحكام والتنفيذ اكثر من

ارتباطها بالجانب الاداري المدني، وهذ ماذهبت اليه جملة من المصادر الاسلامية بذلك ومنها، الماوردي(ت٤٥٠هـ/١٠٥٨م)، وأبي يعلى(ت٤٥٨هـ/١٠٦٥م)، والغزالي (ت٥٠٥هـ/١١١١م)، وأبن خلدون(ت٨٠٨هت/١٤٠٥م)، والمقريزي(ت٨٤٥هـ/١٤٤١م).

ثانيا: الحسبة في القران والسنة :

تستدل بعض المصادر على ان الحسبة كوظيفة لايمكن ان تتعدى حدود اقامتها واركان حدود الدين والعقيدة لذلك عدت لديهم بأنها وظيفة دينية بحتة لاتمت لوظائف الدولة المستقلة بشيء من الادارة، وهذا غير صحيح بل ان الواقع والمتتبع لتأرخ الدولة العربية الاسلامية يرى ان المسلمين حرصوا منذ الوهلة الاولى على استلهام روح الاسلام ومبادئه ونصوص الشريعة في ادارة وتدبير شؤونهم اليومية وحياتهم العامة والخاصة، وعندما اقتضت حاجة المجتمع الاسلامي الى وجود وظيفة دينية ودنيوية تهدف الى اقامة وتطبيق مبادى الدين الاسلامي الحنيف وتدعيم شرع الله سبحانه وتعالى وسيادة العدل بين المسلمين، وبالتالي نشرة الدعوة خارج حدود الدولة العربية الاسلامية، فقد اشار القران الكريم بمجموعة من الايات القرانية المباركة التي تبين اهمية هذه الوظيفة بل وحتى الحض على القيام بها والدعوة لها في الحياة اليومية للمسلمين.

أن اهتمام القران الكريم بالحسبة عن طريق الامر بالمعروف والنهي عن المنكر دفع بعض علماء المسلمين الى تفسير الايات الخاصة بهذا الموضوع الى وجوب العمل بها بأعتبارها فرض من مجموع الفرائض التي اقرها الدين الحنيف، ولم يقتصر الامر عند القران الكريم بل ان السنة النبوية الشريفة اكملت ووضحت ما اشارت اليه الايات المباركة بهذا الخصوص وشددت على تطبيقها والقيام بها وبينت سبل العمل بها وواضحت مجمل المخاطر المترتبة على عدم الشروع بها وتركها، وذكر لنا التاريخ قيام بعض صحابة رسول الله محمد(صلى الله عليه واله وسلم)، العمل بها والاهتمام بعملها، لهذا سوف نتناول مشروعية الحسبة في القران الكريم والسنة النبوية الشريفة .

١- الحسبة في القران الكريم:

وردت العديد من الايات القرأنية التي تحث على الامر بالمعروف والعمل به والنهي عن المنكر والدعوه دونه، ولم يقتصر الامر على وجوب ماذكر بل تعدت هذه الايات المباركة على مايحفز المسلمين على القيام بالمعروف والتذكير والوعيد بسوء العقاب للمتخلفين عنه والامرين بالنمكر.

١- ومن الجميل مايمكن القول به أن القران الكريم لم يقتصر الدعوة للامر بالمعروف والنهي عن المنكر بصورة مباشرة بيأته الكريمة بل أشار الى من يحل محل صفة القائم بالامرالحسن والنهي عن الفعل المنكر، وهذا ما وجدناه في سورة المائدة بقوله تعالى " لو لا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم وأكلهم السحت لبئس ماكانوا يصنعون"[١٥]، فالمذكورين بهذه الايه هم خيار الناس بالمجتمع من اهل العلم والعلماء الذين اخذوا على عاتقهم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٢- وجاء في سورة ال عمران ايضا قوله تعالى " كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر"[١٦].

٣- قوله تعالى " الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث"[١٧]، وهذه من الايات التى اعطت للنبي الكريم محمد(صلى الله عليه واله وسلم)، احد علامات نبوءته وهي الامر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٤- وردت في سورة لقمان ايضا اية من الذكر الحكيم تدعو الى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بما ينسجم مع تعاليم الدين الاسلامي، بقوله تعالى " يا بني أقم الصلاة وامر بالمعروف وانهى عن المنكر واصبر على ماأصابك ان ذلك من عزم الامور"[١٨]، ونستلهم من هذه الاية المباركة أن القيام بالمعروف ودفع المنكر له مايصيب صاحبه من أذى وسوء لهذا نرى ان لقمان الحكيم يوصي ابنه بالصبر الذي هو احد صفات الله عز وجل وصفات المؤمنين التى امر بها وعزم عليها بالشأن.

٥- جاء ايضا بقولة تبارك وتعالى " والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر"[١٩]، وبهذه الاية المباركة فرق الله بين المؤمنين والمشركين بعضهم على بعض وجعل الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بينهم ذلك.

٦- ومن اياته جل وعلا ان جعل الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض واجب على المسلمين كافة دون اي احد من الحاكم الى الرعية، وقد استدل المفسرين المسلمين بأية الحج على ذلك اذ يقول الله " الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلاة واتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور"[٢٠]، على انها شرط من شروط الله على من اتاه الحكم والسلطة على العباد ان يتولى القيام بذلك، اذ في العمل بها قيام حدود الله وشرعه وحفظ للرعية وبقاء الحق عند صاحبه.

٢- الحسبة في السنة النبوية:

جاءت السنة النبوية المطهرة استكمالا لما ذكر بموضوعة الحسبة في القران الكريم من ايات مباركة، اذ ان الاحاديث الورادة عن النبي الاكرم محمد (صلى الله عليه واله وسلم)، قد اكدت في بادئ الامر على مشروعية القيام بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم وضحت الخطوط الواضحة الى أنها فرض من فرائض المسلمين التى اوجبت عليهم، وانتهت الى بيان اهميتها في الحفاظ على المجتمع الاسلامي من التدهور والانحدار نتيجة ترك الدعاة الى العمل بكل ماهو خير والدعوة لكل ماهو مكروه وباطل.

ومن المعلوم أن الحسبة عمل مارسه الرسول (صلى الله عليه واله وسلم)، بنفسه مباشرة بعد نزول الوحي ، فكانت حياته قائمة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهي المنكرات التي ذكرت في القرآن الكريم ، منها عبادة الأصنام والربا وارتكاب الفواحش والتطفيف أو النقص في الأوزان والمكاييل والغش في البيع والشراء

ان مجموع ما اوردته المصادر الاسلامية من احاديث مباركة عن النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم)، كانت تشير الى ان اول من تولى القيام بهذه الوظيفة كان الرسول (صلى الله عليه واله وسلم)، في بادئ الامر ليكون مثالا للمسلمين يحذون حذوه بالقيام بأمورهم وتمشية معاملاتهم اليومية، وقد بلغت عدد هذه الاحاديث الواردة في باب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بما يقارب الاربعون حديثا نذكر بعض منها...

١- قال (صلى الله عليه واله وسلم)، " كل كلام ابن ادم عليه لا له الا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وذكر الله عزوجل "[٢١].

٢- وقوله (صلى الله عليه واله وسلم)، " مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل ان تدعوا فل يستجاب لكم " [٢٢].

٣- وقال ايضا (صلى الله عليه واله وسلم)، " والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليوشكن الله ان يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم" [٢٣].

٤- قوله (صلى الله عليه واله وسلم)، " والذي نفس محمد بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد السفيه فلتأطرنه على الحق اطرا او ليظربن الله بقلوب بعضكم على بعض ..." [٢٤] .

٥- وقد ورد عنه ايضا " أيما قوم عمل فيهم بالمعاصي وهم أعز وأكثر، ولم يغيروا الا عمهم الله بعقابه" [٢٥] .

٦- وقد ورد عن عائشة زوج الرسول الكريم (صلى الله عليه واله وسلم)، انها قالت " ان الرسول محمد خطب بالناس قائلا : مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر من قبل ان تدعوني فلا اجيبكم وتسألوني فلا اعطيكم، وتستنصروني فلا انصركم " [٢٦] .

٧- وذكر عنه (صلى الله عليه واله وسلم)، " لتأمرون بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليسلطن الله عليكم شراركم فليسومنكم سوء العذاب ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم، لتأمرون بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليبعثن الله عليكم من لايرحم صغيركم ولا يوقر كبيركم" [٢٧].

٨- وجاء عنه (صلى الله عليه واله وسلم)، " مروا بالمعروف وان لم تعملوا به كله، وتناهوا عن المنكر وان لم تنتهوا عنه كله" [٢٨].

٩- " أيها الناس مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل ان تدعوا الله فلا يستجيب لكم وقبل ان تستغفروه فلا يغفر لكم، أن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لايقرب أجلا وأن الاحبار من اليهود والرهبان من النصارى لما تركوا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لعنهم الله عاى لسان أنبيائهم وعهمهم البلاء"[٢٩].

ثالثا: نبذة عن الحسبة في عصر الرسول والخلفاء الراشدين:

لاتختلف المصادر الاسلامية المهتمة بالحسبة فيما يتعلق بأن أول من تولى هذه الوظيفة في تاريخ الدولة العربية الاسلامية هو الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه واله وسلم)، بل يمكن القول بأن مفهوم الحسبة كان ظاهرا حتى قبل مجيء الاسلام بوقت ليس بقليل، اذ نرى ان بعض الممارسات التى كانت موجودة في مجتمع قريش قبل الاسلام كنصرة المضلوم واخذ الحق له وردع الظلم والنهي عنه، وهذه الممارسات قد ابقى الدين الاسلامي الحنيف عليها بعد انتشار الاسلام في انحاء مكة وراجائها واقر عليها بأعتبارها من مقومات المجتمع الناجح، وبالنظر الى الطبيعة التكوينية لشخص الرسول الكريم (صلى الله عليه واله وسلم)، نرى ايضا ان مبادى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والتي هي من اعمدة الحسبة واركانها قد كونت الملامح الواضحة لشخصيته الشريفة قبل مجيئ الاسلام، اذ ان وصف الصادق الامين الذي تسنم به الرسول الكريم في مكة لم يكن من فراغ، بالنظرالى ما اشترط به الفقهاء المسلمين في وجوب الصدق والامانة في شخص من يتولى الحسبة امر قائم لامحال فيه.

وبالعودة الى هذه المصادر نرى بأنها استندت في قولها ان نشأءة الحسبة ترجع الى عهد الرسول (صلى الله عليه واله وسلم)، الى سورة ال عمران [٣٠]، وسار بعده خلفائه الرشدين على

نهجه في ولاية الحسبة وادارة شؤونها، ولو نظرنا الى طبيعة حياة الرسول الكريم (صلى الله عليه واله وسلم)، نرى بأنها حافلة بما قامت عليه الحسبة في اركان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، فكان ينهى الناس في بادئ الامر عن عبادة الاوثان والدعوة الى عبادة الله، ثم نراه (صلى الله عليه واله وسلم)، ينهى اهل مكة عن المعاملات التي حرم الله القيام بها مثل الربا الذي كان منتشرا بكثرة في مجتمع قريش، فنهاهم عنه وحرم التعامل به، ولم يتوقف ذلك عند امور دون غيرها، بل تعدى الى تدخله في ادارة شؤون المسلمين وتنظيم حياتهم كتنظيم بيع وشراء الطعام والنهي عن الجلوس في الطرقات وغير ذلك.

وكما كان الرسول الكريم (صلى الله عليه واله وسلم)، السياسي القدير، والقائد المحنك، والمعلم الاول، فقد كان الاقتصادي الماهر، والمنظم السمح الخير، الذي وضع لامته في الاسواق تنظيمات رائعة وفق منهج علمي صحيح وسليم نابع من منهج القران الكريم، مما حدى ببعض المؤرخين الى القول بأن هذه الاعمال من جانب حياته الشريفة تسمى الحسبة وانه (صلى الله عليه واله وسلم)، بقيامه بهذه الاعمال كان اول محتسب في الاسلام، وهو بذلك قد وضع القواعد والمبادئ التي ترسى عليها الحسبة فيما بعد، وبذلك فقد خلق مجتمع سليم ومتكامل ومستقر في حال استمرار التعامل بهذه القواعد والاسس [٣١].

وفي عصر الخلافة الراشدة فأن شحة المادة التاريخية المتاحة في كتب المصادر والمراجع المتعلقة بالحسبة فأننا لانراها كافية عن اعطاء صورة واضحة عن هذه الوظيفة المهمة على العكس تماما من عصر الرسول، على الرغم من ادراك الخلفاء الراشدين ما لهذه الوظيفة من اهمية وتأثير في حياة الناس وتنظيم علاقتهم، وفي ضل ماتوفر من معاومات بسيطه عن عصرهم نستطيع القول بأن ساروا في معاملاتهم على خطى الرسول في الحسبة في المدينة المنورة، فمنهم من توكل القيام بالحسبة بنفسه مباشرة او من يعينه عليها.

ففي خلافة ابو بكر الصديق (١١-١٣هـ/٦٣٣-٦٣٤م)، لم تشهد الحسبة اية تطور ملحوظ وبارز في عصره، ونعزوا ذلك الى عدة امور في مقدمتها، ان حياة المسلمين في العهد الاول كانت اكثر بساطة ومرونه، يضاف الى ذلك بأن خلافة ابي بكر كانت امتداد لعصر الرسول (صلى الله عليه واله وسلم)، وكان الناس اكثر معرفة بأمور حياتهم من خلال الرسول، على ان بساطة الحياة وسهولتها في هذه الفترة كانت اقل تعرضا للمشكلات المتنوعة والمعقدة الناتجة من من نمو الحياة وتطورها في الصعيد المالي والاقتصادي، وفي ضل ماتوفر لم ترد لنا نصوص صريحة تدل على تولي الخليفة الاول لشؤون الحسبة لصلاح الذمم واستتباب الامن[٣٢].

وفي عهد الخليفة الثاني (١٣-٢٣هـ/ ٦٣٤ -٦٤٤م)، تذهب العديد من المصادر التاريخية بالقول ان عمر بن الخطاب اول من وضع في الحسبة وكان يقوم بواجبات المحتسب[٣٣]، على أن كلمة المحتسب كمصطلح يدل على شخص ذوا وظيفة لم يظهر في المصادر الاسلامية الا في عهد بني امية سنة (١٠٥-١٢٥هـ/٧٢٤-٧٤٣م)، في خلافة هشام بن عبد الملك، وفي عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان (٢٣-٣٥هـ/٦٤٤-٦٥٦م)، فأن ندرة المعلومات التاريخية الواردة عن الحسبة في عهده تكاد تكون من النوادر، الا أن تطور مجتمع المدينة ومكة وتوسعهما في ضل انتشار الدين الاسلامي في المناطق المحيطة يعطي انطباعا عن تنوع وتعدد المشكلات المالية والاقتصادية التي اخذت تعصف بالمجتمع الاسلامي[٣٤] .

أما خلافة الامام علي بن ابي طالب(عليه السلام)،(٣٥-٤٠هـ/٦٥٦-٦٦٠م)، فقد حظيت متابعة ألاسواق وكل مايدخل ضمن باب ألامر بالمعروف والنهي عن المنكر بمتابعة مباشرة من قبل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(عليه السلام)، بعد توليه الخلافة سنة (٣٥) للهجرة أو من ينوب عنه من الولاة والعمال على ألامصار والمدن ألاسلامية، ويذكلا أبن كثير أن الامام كان يمشي بها في الأسواق ويأمر الناس بتقوى الله وحسن البيع ويقول" أوفوا الكيل والميزان، ولاتنفحوا اللحم"[٣٥]، وذكر أيضا أنه(عليه السلام)، دائم القول "بيعوا ولا تحلفوا فإن اليمين تنفق السلعة وتمحق البركة".

ونحن هنا لسنا بصدد تتبع تطور هذه الوظيفة على مر العصور ، فقد أفاض كُتّب النظم وخاصة الماوردي ومن أخذ عنه مثل ابن الفراء والشيزري، ومن أخذ عنهم مثل ابن الاخوة في تناول وظيفة المحتسب من الناحية النظرية، والمهام التي عليه القيام بها، مع ذكر أهم الشروط والآداب التي يجب أن يتحلى بها المحتسب، لصيانة المجتمع الإسلامي والحفاظ على الشريعة الإسلامية والحرص على أن تطبق تعاليمها في كافة مجالات الحياة اليومية وذلك عن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهي الركيزة الأساسية لوظيفة المحتسب.

رابعا- المحتسب:

- تعريف المحتسب: هو أسم فاعل للفعل أحتسب، وهو الناظر في شؤون الرعية في الدولة الاسلامية[٣٥]، وهو من ينصبه الخليفة او الامام للنظر في أمور الناس وشؤونهم[٣٦]، يأمرهم بما يوافق الشرع، وينهاهم عما يخالفه في اعمالهم الدينية والدنيوية مما ليس في ذلك من تدابير القاضي والوالي وغيرهم[٣٧]، فاللمحتسب الحق بالنظر بما يتعلق اسواق المسلمين واحوالهم ومجتمعاتهم، وادارة وتنظيم عوالقهم المالية بما يوافق الشريعة، وله من الحق بتعين من يراه اهلا

لذلك من الاعوان والانصار[٣٨]، وأشترط ابن خلدون في المحتسب بأن توليته من قبل الخليفة او الوزير او القاضي[٣٩].

- شروط أختيار المحتسب: أجمعت المصادر التاريخية على مجموعة من الشروط الواجب توفرها في الشخص حتى يلزم أن يكون محتسبا، على أن تعدد هذه الشروط وتنوعها لايأتي من باب تعقيد أداء الوظيفة على من تولاها بقدر ماهية نسبة وتناسب حتى يتحقق المقصود منها(الحسبة)، وهو أظهار لشعائر الدين، وحفظ سلامة المجتمع، وغش المتلاعبين، وفساد المفسدين، وبهذا يذهب الماوردي بالقول " أن من شرائط المحتسب: أن يكون بالغا، عاقلا، حرا، مسلما، عادلاً، قادرا"[٤٠].

على شرط ان يكون المحتسب مسلما، فهو أول الشروط وأهمها[٤١]، وفي هذا أشتراط مجموع فقهاء المسلمين، لان الغرض منها، هي نصرة الدين وتقويمه، ولا يتم ذلك الا من يتبع الدين ويؤمن به، لا عكس ذلك ممن ينكر الدين الاسلامي ويجحده، على أنهم لم يجيزوا ولاية غير المسلم على المسلمين فيها، مستندين في ذلك الى القران الكريم بقوله تعالى " ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا"[٤٢]، وبما أن الحسبة قامت على عدم الاكتفاء عن النهي والانكار بكل ماهو غير صحيح وشرعي، فأن امرها لايتوقف عن ذلك بأنكاره بالقلب وهذا أظعف الايمان، مما دفع الفقهاء الى أشتراط صفة القدرة على شخص المحتسب في توليتها، لانه يفتش عما يقع في البلاد من المنكرات ويجبر على صدها والنهي عنها[٤٣].

أن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مبدأ قامت عليه الحسبة وأرست قواعدها الحكيمة في تسيير أمور المسلمين وشؤونهم اليومية ومعاملاتهم المالية والتجارية، لذلك وجب أن يكون متوليها عارفا بما يأمر به، ومدركا عن ما ينهى عنه، وهذا مااشترط أن يكون المحتسب من أهل العلم والمعرفة[٤٤].

- تولية المحتسب: أن شحة المعلومات التاريخية الواردة بخصوص مراسيم التولية ونظمها وتناثر بعض النصوص بين طيات الكتب والمصادر لاتعطي انطباع او صورة واضحة عن مسألة تولية المحتسب في الدولة العربية الاسلامية، ألا أنها بطبيعة الحال تختلف في بلاد المشرق الاسلامي عن نظيرتها في المغرب، ففي مصر تذكر لنا بعض النصوص أن طريقة تولية المحتسب لم تكن معروفة أو صاحبة شأن في البلاد قبل العصر الفاطمي (٢٩٧-٥٦٧هـ/ ٩٠٩-١١٦١م)، أذ كان المحتسب يتولى منصبه بعد أن يصدر أمر من الخليفة بتوليه الوظيفة وهو مايطلق عليه مرسوم التولية[٤٥]، على أن أختيار المحتسب يتم أما عن طريق

الخليفة نفسه او من يرشحه القاضي للخليفة بتوليته الحسبة[٤٦]، ولتعلق الحسبة بالجانب الديني في أدائها من جانب، ولحرص الفاطميين في تطبيق الشريعة الاسلامية في جميع ارجاء دولتهم من جانب اخر، فقد ذكر أن الخليفة الفاطمي كان يستدعى من تصدى للحسبة لقصر الخلافة ليمنحه كتاب التولية ثم يخرج به الى الجامعين[٤٧]، ثم يطوف بين الحارات بموكب ضخم[٤٨]، على أن البعض أشار الى أن الحسبة عند الفاطميين كانت من ضمن ولاية القاضي وداخلة فيه، يسندها القاضي الى من ينوب عنه[٤٩]، بل أن أبن خلدون عدها في بادئ الامر الى صاحب الشرطة بتكليف من القاضي[٥٠]، ويبدوا أن تداخل ولاية الحسبة بالقاضي كانت في بداية حكم الفاطميين لمصر، اذ يتبين لنا من خلال النصوص أن اسقرار حكمهم وتوسع سلطانهم في البلاد المصرية، دفعهم الى أن تكون ولاية الحسبة مستقلة بشأنها، عالية بصاحبها وألا لما كانت توليته تتم من خلال الخليفة وبكتاب رسمي وبموكب ضخم ومراسيم كبيرة تعم المدينة.

- راتب المحتسب : ذكر الماوردي ذلك بالقول " أن للمحتسب أن يرتزق على حسبته من بيت المال "[٥١]، وهو حق من الحقوق التي يجب أن يحصل عليها نظيرمن يقدم عملا او خدمة معينة للدولة، وذهب أبن الاخوة [٥٢]، الى ماذهب اليه الماوردي وأخرون، على أن النصوص التأريخية المتوفرة عن موضوعة مرتبات المحتسب وأعطيته قليلة جدا في العصر الفاطمي سوى ماأورده المقريزي عن تحديد راتبه بثلاثين دينارا لكل شهر[٥٣]، ويبدوا أن هذا المبلغ لم يكن المبلغ الوحيد الذي يحصل عليه المحتسب في عهدة الفاطميين، أذا انتهج الخلفاء منهم نهجا مميزا يهدف الى أن يبعد المحتسب عن كل ماهو مشبوه ويعطل عمله وهنا نقصد أنهم قصدوا ابعاد المحتسب عن الرشاوي، لذلك نرى أن بعض المخصصات والعطايا والهدايا تبذخ لهم من قبل الخلفاء من أجل ذلك، وخير شاهداً على ذلك ما أنفذه الخليفة الحاكم بأمر الله إلى محتسبيه كل من أبي سعيد الذي خلع عليه وقلده الحسبة سنة (٣٨٨هـ/٩٩٨م)، وفي سنة(٣٩٠هـ/١٠٠٠م)، خلع أيضاً على جابر بن منصور الجودري بجبة مثقلة ومنديل مذهب، وحمل بين يديه ثياب كثيرة ، وقلد بسيف وندب ناظراً في السواحل والحسبة بمصر، ورد في أحداث سنة (٤٠٢هـ/١٠١١م)، بأن الخليفة الحاكم بأمر الله منح محتسبه خمسة الالف دينار ذهبي بالاظافة الى خمس وعشرون فرسا بلجمها وسروجها[٥٤]، على أن سياستهم في هذا الجانب كانت حكيمة الى درجة واسعة أذ فيها من أحساس العاملين تحت سلطانهم بالحب والعطف والاهتمام، وفيها تنفيذ لشرع الله القائم على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وعدم أخذ الاموال والهدايا بغير حق من اصحابها[٥٥].

- أعوان المحتسب:أن تطور المجتمع المصري وتعقده لكثرة التعاملات التجارية والاقتصادية، خصوصا في نهاية العصر الاخشيدي وبداية العصر الفاطمي، أدى ذلك الى توسع مهام المحتسب وتعدد أعماله وتنوعها، خصوصا في المراكز والاسواق الكبيرة في البلاد المصرية التي تشهد حركة تجارية وأقتصادية واسعة لاسيما الفسطاط والقاهرة، لذلك أصبح لزاما عليه أن يتخذ له مساعدين ممن تتوفر فيهم الخبرة في الحرف والصناعات، على أن يكونوا له نوابا وأعوانا في أسواق يعينوه في أداء وظيفته[٥٦]، وقد أختلفت كتب الحسبة في تسمية هؤلاء مثل : غلمانا، أعوانا، عرفاء أو نواب[٥٧]، وكان دورهم في بادئ الامر كالعيون للمحتسب في الاسواق، ينقلون له أخبار السوق وأحوال التجار والصناع[٥٨]، ومما يؤكد ذلك قول المقريزي : " والعادة جارية باستخدام عرفاء في الاسواق على أرباب الصنائع"[٥٩]، أن تطور الحسبة بمرور الوقت وتوسع وتعدد مهامهاادى ايضا الى توسع وظيفة النواب او ألاعوان من نقل الاخبار والحركة التجارية في الفسطاط والقاهرة للمحتسب الى أن تكون لكل حرفة أو صنع نائب او معين خاص بالمحتسب عليها، أذ يذكر أن محتسب الفاطميين رتب لكل حرفة أو صنعه عريف خاص بها دون غيرها من الحرف والصناعات، يقبل قوله في كل شيء وتنفذ قراراته[٦٠]، أن مراقبة الاسواق وما يجري فيها من معاملات تجارية وأقتصادية بواسطة نواب المحتسب الذين اخذوا يعرفون فيمابعد بـ"عرفاء السوق"[٦١]، دلت وبواقع الحال الاهمية الرقابية والادارية لوظيفة المحتسب في العصر الفاطمي، ألامر الذي دفع الفاطميين الى تخصيص مكان لأقامتهم في الاسواق، وهذا ماذكره أبن دقماق بالقول" مصطبة أمناء سوق الرقيق بالفسطاط"[٦٢].

لذلك يجب على المحتسب أن يختار أعوانه من أهل الخبرة في الصناعات والحرف وممن تكون لهم دراية تامة بأحوال الطائفة أو الصنعة التي يشرف عليها وبما تمارسه من أعمال صناعية أو حرفية، لأنه بمثابة عين للمحتسب يطلعه على أخبار أهل صنعته، ويدله على مواطن الغش والتدليس التي قد يلجأ اليها البعض، ويقبل قول العرفاءفيما يذكرونه[٦٣]، على أن بعض كتب الحسبة أشترطت في موضوع النواب على الاسواق أن يكون من أهل الصنع حصراً لا من غير أهلها، وهذا ماذهب اليه الشيرازي بالقول" بأنه ينبغي أن يعين عليهم رجلاً ثقة من أهل صناعتهم، خبيراً بِصناعتهم ، بصيراً بغشوشهم وتَدليساتهم"[٦٤]، وكذلك صاحب كتاب نهاية الرتبة في طلب الحسبة أيضا، فقد ذكر ذالك قائلا" وينبغي للمحتسب ويستحب له أن يجعل له على أهل كل صنعة عريفاً من صالح أهلها، خبيراً بِصناعتهم، بصيراً بغشوشهم وتَدليساتهم، مشهوراً بالثقة والأمانة، يكون مشرفاً على أحوالهم ، ويطالعه بأخبارهم، وما جلب إلى سوقهم من

المتاجر والبضائع، وما تستقر عليه من الأسعار، وغير ذلك من الأسباب التي يلزم المحتسب معرفتها"[٦٥]، وقد فرضت طبيعة وظيفة الحسبة على وجوب تواجد الثقة بين المحتسب وأعوانه، أذ أن سلطاتهم وهيبتهم تستمد من ثقة المحتسب نفسه التي أكتسبها بدوره من مرسوم الخليفة له بالتولية، وبالمقابل كان لازما على المحتسب أيضا أن ينال ثقته بهم، لأنهم مصدر معلوماته عن أبناء الحرفة والصنعة التي يشرفون عليها، وأوضح دليل على ذلك قول المقريزي " ويقبل قولهم فيما يذكرونه "[٦٦]، لذا فهم كانوا عيوناً في الأسواق، يوصلون إليه أخبار أصحاب الصنائع والحرف والمعايش وأحوال سلعهم وبضائعهم ومدى مبلغ جودتها ورداءتها وأسعارها، وغير ذلك من الأخبار التي يلزم المحتسب معرفتها[٦٧]، كي يقف على كل صغيرة وكبيرة.

ولم تشر المصادر التاريخية بصورة واضحة عن مرافقة المحتسب لأعوانه أثناء أشرافه على السوق، بل كان المحتسب يمارس عمله بمفرده أو ينوب عنه من أعوانه نفرأ، لكي يراقب ألأسواق والحارات، وعلى مايبدوا ان أسواق مدينتي الفسطاط في بادئ ألأمر ثم القاهرة قد أخذت الوقت الكبير من وقت المحتسب وأعوانه، نتيجة للحركة التجارية والمعاملات المالية الكبيرة التي تشهدها المدينتين، ويتضح من خلال النصوص الموجودة أن المحتسب قد أتخذ من الجامع الكبير في مدينة القاهرة مقراً للأشراق على أسواق القاهرة على الرغم من وجود المكان الخاص بهم بالسوق، على أن أعوانه كانوا يطوفون أسواق المدينة ومراقبة أصحاب الحرف والصنائع[٦٩]، ومن خلال ماتوفر من معلومات تاريخية متناثرة بين طيات الكتب، نستطيع القول بأن الحسبة في مصر الفاطمية قد وصلت الى مرحلة من الكمال والتطور لم تشهدها بقية أجزاء الدولة العربية الاسلامية في المشرق أو المغرب، وخير دليل على ذلك أن اشترطت الخلافة الفاطمية على أصحاب المهن والحرف حظور نواب المحتسب وأعوانه أثناء ممارستهم عملهم منذ البداية وحتى مرحلة البيع، وهذا ماذكر كل من الماوردي والشيرازي وأبن الأخوة عن عمل الهراسيين، اذ أشترط عليهم حظور المحتسب أو من ينوب عنه من أعوانه على مراحل العمل الخاص بهم منذ البداية[٧٠]، وكان الحظور ألاقوى على مجريات ألاحداث في تاريخ الدولة الفاطمية لأعوان المحتسب فيعود الى سنة (٤٩٥-٥٢٥هـ/١١٠١-١١٣١م)، في عهد الخليفة آلآمر بالله الفاطمي، أذ لجأت اليهم الدولة لمعرفة مجريات جريمة قتل حصلت في أحد ألاسواق[٧١]، وتأكيد لما ذكر في سعي الخلافة الفاطمية في تنظيم شؤون أدارتها لبلاد مصر أن آولت الحسبة من الاهمية الشيء الكبير ألامر الذي دفعها الى أن يكون للمحتسب وأعوانه أعمال أخرى خارج نطاق السوق، فقد أشار كل من المسبحي والمقريزي الى أن الخلافة أعطتهم مهمة الكشف عن البضائع

والمنتوجات الواردة لمصـــر عن طريق ســواحلها وفحصـــها والتأكد من جودتها[٧٢]، وبذلك يكون المحتسب أو من ينوب عنه في هذه الوظيفة قد حصل على كل الصلاحيات التي منحت من قبل الفاطميين في مسألة السماح بدخول هذه البضاعة أو من عدمه، بحيث يمنع دخول آية بضاعة من السواحل المصرية للسوق مالم تحمل ختم خاص بالمحتسب قد اخذه من قصر الخلافة بهدف منع الغش والتلاعب بالبضاعة[٧٣]، أن تنظيم ألاسواق وألاهتمام بشؤونها جعلت من مصر في عصـــر الخلافة الفطمية محط انظار التجار والتجارة من مختلف أرجاء المعمورة، اذ وصـــفها المقدسي بـ" بلد التجارات "[٧٤]، وأعجب كثيرا بأسواقها ودقة أدارتها في هذه العصر.

خامسا– الحسبة في مصر الفاطمية:

قبل دراسة الحسبة والمحتسبين في عصر الدولة الفاطمية لابد من معرفة الاوضاع التجارية وألاقتصادية التي عاشتها مصر قبل مجيئ الفاطميين اليها، فقد أعطى الموقع الجغرافي المميز للبلاد المصـــرية أهمية كبيرة من الناحية التجارية مع البلدان والاقاليم القريبة والبعيدة، خصوصا ساحلها الطويل الممتد على البحر، وقد أدى ذلك بطبيعة الحال الى وفرة في الانتاج وتنوع في الصناعات والحرف، على أن هذه المميزات التي تمتعت بها مصر لم تكن لتشفع لها في الفترة الاخيرة من العصر الاخشيدي (٣٢٣–٣٥٨هـ/٩٣٥–٩٦٩م)، الذي عرفته البلاد بكثرة الاوبئة بين الناس، وأرتفاع اسعار البضائع والمنتوجات، يرافقها كثرة المجاعات التي انتشرت بين المجتمع المصري انذاك[٧٥]، على أن أنخفاض منسوب مياه نهر النيل كان الاكثرة شدة عليها.

وعند مجيئ الفاطميين ألى مصر سنة(٣٥٨هـ/٩٦٩م)، كانت البلاد بحالة يرثى لها أن صح القول لما كانت عليه من تردي في ألاوضاع السياسية وألاقتصادية وألاجتماعية، يضاف الى أن محتسبي الاخشيديين في فترة حكمهم ألاخيرة عرف عنهم بالفساد وسوء أستخدام سلطة وظيفتهم وأستغلالها لمصالحهم الخاصة، وهذا ماذكره أبن زولاق الذي يعتبر من مؤرخي هذه الدولة بالقول " أن سيبويه المصري[٧٦]، قد ساءه ولاية محمد بن جعفر[٧٧]، لشؤون الحسبة، لأنه تأذى به بعض جيران سيبويه، فشكاه إليه فركب معه إلى أبي الفضل جعفر بن الفضل[٧٨]، وقال له" أبا الفضل حفظك الله ورعاك وصانك وأبقاك وليت علينا محتسباً قليل الوفا كثير الجفا، طويل القفا، فإما إن كفيتناه أو أبدلته لنا بسواه "[٧٩].

وقد بين لنا هذا النص مجموعة أمور يقع في مقدمتها أن تداخل صـــلاحيات الوزير في العصر ألاخشيدي في مسألة عزل وتولية المحتسب وتحديد صلاحياته شيء لم يكن معمول به في بقية أمصار الدولة الاسلامية أنذك بأعتبار أن وظيفة الحسبة وتعين المحتسب هي من

صلاحيات الخليفة أو الوالي وهذا ما أشترطت عليه كتب الحسبة، وأيضا فأن فساد المحتسبين وسوء أدارتهم للوظيفة يعد أنتهاك لشروط تولي هذه الوظيفة، وبنفس الوقت يتبين لنا من خلال نص أبن زولاق طبيعة ألاوضاع العامة التي شهدتها مصر في تلك الفترة من تفشي الفساد بين موظفي الدولة وشكوى الناس عليهم.

وفي نص أخر عن أبن زولاق أيضا يذكر به ما وصلت اليه الحسبة في نهاية هذا العصر الذي مهد الطريق أمام الفاطميين للوصول لمصر وأحكام سيطرتهم عليها من تفشي الفساد بين القائمين على الحسبة من محتسبين وأعوان بالقول " إنّ سيبويه المصري لقي المحتسب والحراس بين يديه فقال: ما هذه الأحراس ياأنجاس، والله ما ثم حق أقمتموه ولا سعر أصلحتموه ولا جان أدبتموه ولا ذو حسب وقرتموه وما هي إلا أجراس تسمع لباطل يوضع واقفاه تصفع وبراطيل تقطع لا حفظ الله من جعلك محتسباً ولا رحم لك ولا له أماً ولا أبا ..."[٨٠]، وبطبيعة الحال فأن فساد صاحب الحسبة وأصحابه قد فتح الطريق أمام أنتشار الرشاوي والبراطيل بين الباعة وفساد أصحاب الصناعات والحروف بدورهم[٨١]، هذه ألاوضاع التي شهدتها مصر نهاية القرن الرابع للهجرة وعدم وجود رغبة صارمة لدى الاخشيديين لتحسين حالة البلاد وأنشغال العباسيين في المشرق عنهم، دفع الكثير من المصريين الى التوجه نحو بلاد المغرب الاسلامي والنظر الى الفاطميين بأعتبارهم المنقذ لحالتهم هذه، فيذكر المقريزي أن الخليفة الفاطمي المعز لدين الله (٣٤١-٣٦٥هـ/٩٥٢-٩٧٥م)، قد وصلت اليه الكثير من المراسلات والكتب تدعوه الى التوجه نحو مصر[٨٢].

في سنة (٣٥٨هـ/٩٦٩م)، دخل الفاطميون مصر، وكانت البلاد في حالة تدهور تام وخصوصا من الناحية ألاقتصادية، ألا أنهم تمكنوا وخلال فترة ليست بالطويلة من أعادة الحياة للبلاد بصورة عامة، فمن الناحية الاقتصادية ساعدت سياسة الخلفاء على أنتعاش الاسواق وكثرة التجارة وسعتها خلال حكمهم وقد ساعدتهم عدة أمور في ذلك، يقع في مقدمتها ألاموال والذهب التي جلبها خلفائهم من بلاد المغرب، اذ كان لها الدور الكبير في القضاء على ماكانت تعاني منه البلاد من ألاوبئة والمجاعات، يضاف الى ذلك أرتفاع منسوب مياه نهر النيل في الفترة الاولى من حكمهم، على أن السياسة الادارية الجيدة التي أتبعها الفاطميين في ادارة دولتهم كانت لاتقل أهمية عما ذكر، مثل تحسين وتنظيم ادراة الظرائب والاهتمام بالتجارة والتجار وتطوير علاقتهم مع جميع أطياف ومكونات المجتمع المصري، هذه العوامل والسياسات الجيدة التي أتبعها قادتهم أدت بطبيعة الحال الى أنتعاش الحلاة الاقتصادية وتطور التجار وتعدد الاسواق

وتنوعها في مصر ألامر الذي ادى الى أزدهار أسواق القاهرة والفسطاط وكثرة المعاملات المالية والاقتصادية الجارية بين اروقتها وهذ أنعكس على الحسبة والمحتسب بمعنى أن المحتسب توسعت أعماله كما سنرى خلال البحث وتطور مهمامه وكثرت خلال هذا العصر وتنوعت أساليب ادارته للوظيفة وقبل ذلك كله لابد من معرفة أهم وأكبر الاسواق[٨٣]، التي عرفتها مصر خلال هذه الفترة حتى تكون الصورة واضحة عن عمل المحتسب ووظيفته.

١- أسواق الفسطاط: يذكر أن عمر بن العاص عندما دخل مصر فاتحا أختط دار يقال لها البركة وهي أول دارللعرب في المغرب، ألا أن الخليفة عمر بن الخطاب كتب اليه بتحويل هذه الدار الى سوق على أن يكون سوق للرقيق[٨٤]، وهو بذلك يكون أول الاسواق التي أختطت في البلاد المصرية بيد العرب، وعلى الرغم من قيام مدينة القاهرة بأحتلال الجزء الاكبر من الحركة التجارية والاقتصادية في العصر الفاطمي بأعتبارها مركز الخلافة، ألا أن الفسطاط وألاسكندرية قد تمتعتا بالشيء الكبير ايضا في هذه الفترة والسبب يعود الى موقعهما الجغرافي المطل على نهر النيل ومن أسواق الفسطاط التي كانت عامرة بتجارتها وحركتها الاقتصادية السوق الكبير الذي وصفه أبن دقماق بأنه من أشهر أسواق الفسطاط لعمارة تجارته وتنوعها[٨٥]، وسوق أبن العجمية[٨٦]، كذلك كان من أسواق الفسطاط المهمة التي لعبت دور تجاري وأقتصادي كبير في القرن الرابع هجري[٨٧]، أما سوق العراقيين الذي أخذ تسميته من الوافدين اليه من أهل العراق، يعد من مراكز التجارة في المدينة[٨٨]، في حين كان سوق القناديل الذي أعجب به الرحالة ناصر خسرو[٨٩]، كثيرا والذي تميز بكثرة توافد الناس اليه من مختلف الامصار، لتنوع بظاعته وتعددها وكثرة الحرف والصناعات التي كانت تشغل دكاكينه، وتميز هذا السوق بجودة المنتجات والصناعات التي امهتن اصحاب القيام بها ولأعتمادهم في مصنوعاتهم على المواد الاولية القادمة من خارج الديار المصرية مثل المغرب وزنجبار[٩٠]، ولم تقتصر الفسطاط على هذه ألاسواق فقط بل تميزت المدينة بكثرة أسواقها وتنوع تجارتها وأزدهار الصناعة فيها مثل سويقة الرقيق وسويقة البربر وغيرها، وأشتهرت المدينة أيضا بالقياسر[٩١]، التي لاتقل أهمية من الناحية التجارية أو الاقتصادية عن الاسواق، ومن أشهرها قيسارية المحلى والصبانه وشبل الدولة وورثة الظاهر[٩٢].

أما مدينة الاسكندية شاركت المدن المصرية ألاخرى كالقاهرة والفسطاط في التجارة الداخلية والخارجية، وعلى الرغم من أنها لاتمتلك مايتيح لها من البحر من سواحله ولا على النيل بمجراه مباشرة وانما على خليج الإسكندرية الذي يصلها بالنيل، فانها تتميز عن كليهما بموقعها المتميز على البحر المتوسط ، الذي أهلها لتلقى تجارة أوربا، كما جعل تجارة الشرق تنتهي

أليها[٩٣]، وعلى العكس تماما مع تلك المدن فأن الاســـكندرية لعبت دورا تجاريا مهما منذ الفتح العربي لمصـــر، اذ يذكر أبن دقماق نص ما أرســـله عمرو بن العاص للخليفة عمر عن المدينة قائلا"، قد افتتحت لك مدينة ، فيها اثنى عشـــر ألف حانوت تبيع البقل "[٩٤]، وهو ما يوضـــح ضخامة حجم التجارة بها قبيل الفتح الأسلامي، وبعد الفتح الفاطمي لمصر أزداد النشاط التجاري ، نظرا لما بذلوه من جهود لتنمية التجارة، فوصفت الإسكندرية أنها كانت سوقاً رائجة لتجار الهند والصـين والممالك المسـيحية، وهكذا كانت السـلع ترد أليها عبر النيل وخليج الإسـكندرية، فتنزل الأسواق حتى تأخذ المدينة حاجتها، ويباع الباقي لتجار أوربا.

وقد عجت أسـواق الإسـكندرية بمصـنوعاتها جنبا الى جنب مع المصـنوعات المصـرية الأخرى، كما اشـتملت أسـواقها على متاجر من شـمال افريقيا والمغرب، تركزت في سـوق يدعى سـوق المغاربة، وقد عرفت أسـواقها نظام التخصـص في الحرف والصـناعت شـأنها شـأن مدن الفسطاط والقاهرة بذلك، فكانت أغلب الاسواق هي تلك المسماة بأسماء السلع المتواجدة فيها[٩٥]، فمن أسـواقها سـوق العطارين، الذي كان بمثابة سـوقاً متكاملة لتجارة التوابل، وسـوق المرجانيين، وبه حوانيت لصـــناع وتجار المرجان، كما وجدت أســـواقاً أخرى في مناطق متفرقة من مدينة الإسكندرية، كسوق النجارين، وسوق الصرافين، وسوق الجواري، وهو سوق لبيع العبيد والجواري، وسوق الطيور، وسوق الشماعين والصاغة، وغيرها من الأسواق المتخصصة ومما يميز أسواق الإسكندرية، هو دوام حركة التجارة فيها طوال اليوم فكانت التجارة بالليل كما هي بالنهار[٩٦]، وقد حفلت بكل طريف ونادر من البضائع، فكانت هي المركز الرئيسي لتجارة الكثير من السلع النادرة ، يأتي في مقدمتها الشب[٩٧].

وعن أســـواق مدينة القاهرة يذكرالمقريزي[٩٨]، قائلاً: "وكان بمدينة القاهرة ومصـــر– الفسطاط، وظواهرها من الأسواق شيءٌ كثير جداً ، وقد باد أكثرها وكفاك دليلاً على كثرة عددها، ان الذي خرب من الأسواق فيما بين أراضي اللواق[٩٩]، الى باب البحر[١٠٠]، بالمقص[١٠١]، أثنان وخمسـون سـوقاً أدركناها عامرة فيها مايبلغ حوانيته نحو السـتين حانوتا، وهذه الخطة من جملة ظاهر القاهرة الغربي ، فكيف ببقية الجهات الثلاث مع القاهرة ومصر–الفسطاط–".

أما الفاسي الذي توفي في حدود القرن العاشر للهجرة فقد وصف أسواق القاهرة الفاطمية بالقول" ويضم حي بين القصرين[١٠٢]، دكاكين يباع فيها اللحم الناضـــج، وهي نحو ستـــين دكاناً كلها مجهزة بأواني من قصدير وتباع في اخرى مياه، مصنوعة من جميع انواع الأزهار، ومذاقها رفيع جداً، لذلك يشـــرب منها جميع النبلاء، ويحفظها الباعة في قوارير جميلة جداً من الزجاج

والقصدير، مصنوعة بشكل فني، وتأتي بعدها دكاكين اخرى، تباع فيها حلويات معروضة بطريقة حسنة، ومختلفة عن مايباع في اوربا، وهي نوعان نوع بالعسل وآخر بالسكر، ثم يأتي الفكاهيون الذين يبيعون الفواكه... وبين هذه الدكاكين دكاكين اخرى مبعثرة تباع فيها الفطائر، والبيض المقلي والجبن .. وقرب هذه الدكاكين حي يسكنه الصناع الذين يزاولون مختلف المهن الشريفة "[١٠٣].

وتبين لنا من خلال ماذكر من نصوص المقريزي والفاسي عن أسواق القاهرة النتائج الجيدة التي أفرزتها سياسة الخلفاء الفاطميين الاقتصادية التي أتبعت في مصر بعد أنتقالهم اليها والتي أتت ثمارها بصورة جيدة أنعكست على واقع الحال ونقلت البلاد من حالة التدهور والانحلال في كافة النواحي لاسيما التجارية والاقتصادية الى مقدمة الامصار الاسلامية في التجارة الداخلية والخارجية، اذ تنوعت ألاسواق خلال فترة ألانتعاش الاقتصادي وتطورت وسائل الكسب وكثرت المهن والصناعات وهذا بطبيعة الحال أظهر نتائج ملموسة على المجتمع المصري، اذ ليس من الاجحاف حقا أن نعد الدولة الفاطمية في هذه الفترة من أنجح الدولة أن لم تكن أفضلها من حيث التنظيم والاهتمام من الناحية العسكرية والاجتماعية والاقتصادية، وفي هذا الصدد ينقل لنا الرحالة ناصر خسرو رواية جميلة تدل على التطور الحاصل داخل اسواق القاهرة في العصر الفاطمي من حيث التنظيم والترتيب قائلا " ويركب أهل السوق وأصحاب الدكاكين الحمير المسرجة في ذهابهم وأيابهم من البيت إلى السوق وفي كُل حي رأس الشوارع حمر كثيرة ...يركبها من يريد نظير أجر زهيد"[١٠٤]، ومن أشهر أسواقها في العصر الفاطمي نذكر من أسواق القاهرة ماكان قد ذكر في كتب التاريخ، فسوق باب الفتوح الذي بناه القائد جوهر الصقلي عند أستقرار وتثبيت حكم الفاطميين لمصر[١٠٥]، ويعد هذا السوق، من أجلّ اسواق القاهرة واعمرها، إذ يقصده الناس من كافة انحاء البلادالمصرية، لشراء انواع لحوم البقر والمعز واصناف الخضروات، وقد اتصفت حوانيت القصابين بأنها متجاورة[١٠٦]، أما سويقة إبن كُلس[١٠٧]، أو تسمى في بعض المصادر بسويقة الوزير يعقوب بن كلس فإنها كانت على باب داره وعرفت بعد وفاته بأسم دار الديباج التي ينسج فيها الحرير، وقيل لذلك الموضع كُله خط دار الديباج، ثم عرفت هذه السويقة فيما بعد بأسم السوق الكبير، في أخريات الدولة الفاطمية [١٠٨]، في حين أن سوق اللجميين من الأسواق المتخصصة بالصناعة، إذ اختص ببيع آلات اللجم ونحوها ومايتخذ من الجلد، كما اختص ببيع قطع الزينة، واحتوى هذا السوق على عدة وافرة من الطلائيين وكذلك صناع الكفت[١٠٩]، وعدة وافرة من صناع مياتر السروج التي صنعت بأشكال ملونة مابين اصفر

وازرق[١١٠]، وسوق حارة برجوان[١١١]، من اعمر أسواق القاهرة في العصر الفاطمي، اذ كان يعرف بسوق أمير الجيوش بدر الجمالي[١١٢]، في بادئ الامر ذلك لأن بدر الجمالي لما قدم الى مصر في زمن المستنصر بالله (٤٢٧-٤٨٧هـ/١٠٣٦-١٠٩٤م)، أقام هذا السوق برأس حارة برجوان، وأمتاز بضخامته إذ يمكن الاعتماد عليه في سد حاجة الناس، من كل اصناف المتاجر، وكان هذا السوق معمور الجانبين بالعدة الوافرة من بياعي اللحم المتنوعين، فمنهم بياعي اللحم البقري، والجبانين، والخبازين، واللبانين، والطباخين والشوائين والعطارين والخضريين، فضلاً عن بائعي الأمتعة من البقل والكراث والنعناع[١١٣]، وقد احتوى هذا السوق فضلاً عن الدكاكين الموجودة فيه، على الحمامات الخاصة بالرجال والتي أنتشرت كثيرا في هذا العصر في البلاد المصرية وفي ذلك يقول المقريزي[١١٤]، " بحارة برجوان حمامات يعني حمامي الرومي[١١٥]، وحمام سويد[١١٦]، فأنه كان يدخل اليها من داخل الحارة"، وقد أعجب ناصر خسرو بسوق القصبة الكبير الذي عده منأعظم أسواق القاهرة في هذا العصر[١١٧]، وقد وصفه المقريزي بأنه السوق ألاعظم الذي يمر بالقاهرة المعزية وأنه يحتوى على أثني عشر الف دكان[١١٨]، على أن أسواق القاهرة لم تقتصر على ماذكر فقط بل أننا أشرنا الى ماتوفرت من نصوص تأريخية تخص موضوعة البحث في هذه الاسواق على أن القاهرة الفاطمية لما كانت تتمتع به بحركة تجارية ضخمة، وكثرة البضائع التي تتدفق عليها من شتى أنحاء المعمورة، تدل على سعة وأنتشار أسواقها في هذه الفترة.

ويتضح من خلال ما ذكر أن وظيفة الحسبة من الوظائف ألادارية الأساسية والمهمة في المجتمع الإسلامي ذلك لإرتباطها بحياة الناس من جهة، ولحاجة الدولة اليها في تنظيم أدارتها لكل مايدار في أسواق من معملات تجارية وأقتصادية تدل على قوة الدولة وتطوررها من جهة أخرى، على أن هذه الوظيفة كانت على تماس مباشر مع نمو المجتمع وتطور نظمه الاقتصادية وأوضاعه الاجتماعية واتساع رقعته حتى أصبحت من أهم دعائم النظام الاقتصادي والاجتماعي للدولة، واستمرت هذه الوظيفة المهمة (الحسبة)، تؤدي دورها في تنظيم الامور الجارية بين الناس في كافة شؤون الحياة المعيشية، وعند دخول جوهر الصقلي مصر فاتحا للفاطميين البلاد سنة (٣٥٨هـ/٩٦٩م)، وأحكام سيطرته في بادئ ألامرعلى مدينة الفسطاط، كانت أوضاع البلد من الناحية ألاقتصادية غير مستقرة كما ذكر في نهاية العصر الاخشيدي، لذلك كان عليه أن يبذل الكثير من أجل أستقرار الوضع من جانب واستمالة المصريين لحكم الفاطميين من جهة أخرى، فيذكر المقريزي[١١٩]، أن جوهر قبيل دخوله الفسطاط وزع ألاموال على الناس لتحسين وضعهم

وأستمالة قلوبهم وتهيئتهم للقادميين من المغرب، وأتخذ من المسجد الكبير فيها مقرا له، كذلك ذكر أن جوهر طلب من أهالي المدينة ممن يتوفر لديه القمح بأخراجه للناس مقابل المال[١٢٠]، ونظم البيع والشراء في المدينة وغير فيها حتى شهدت الفسطاط شيء من ألاستقرار، وبعد ذلك عمد الى جمع خراج مصر الذي بلغ في تلك السنة مايقارب ثلاثة ملايين واربعمائة الف دينار وهو مبلغ كبير جدا عما كان في العصر الاخشيدي، وهو بذلك يكون أولى من تولى الحسبة في مصر في العصر الفاطمي.

وقبل التطرق للحسبة في هذا العصر لابد من ألاشارة الى أن المصادر التأريخية ذكرت أن التطور والنفوذ والرسوم التي شهدتها وظيفة الحسبة في مصر أثناء العصر الفاطمي لم تشهدها نظريتها في بقية أمصار الدولة الاسلامية لا بالمشرق أو في المغرب، أذ تعددت أعمال المحتسب وتنوعت أساليبه وأهتمت الخلافة في مسألة من يتولى أدارتها والقيام بها، فيذكر أن المحتسب أخذ يتمتع بنفوذ كبير منح له من الخلفاء أنفسهم شأنه شأن القاضي أنذاك، وعين له النواب وألاعوان لمساعدته في مهامه، وأتخذ له مقرا خاص ولأعوانه وكان ذلك في الجامعين في الفسطاط يوما لها وللقاهرة يوما أخر[١٢١]، على أن كل مايتمتع به المحتسب من نفوذ وسعة في السلطة وهيبة في المقام يعود الى عهد الخليفة المعز لدين الله (٣٤١-٣٦٥هـ/٩٥٢-٩٧٥م)، وسار عليه الخلفاء من بعده، ومهما كانت الأمور فإن وظيفة المحتسب من الوظائف التي بدأت تأخذ شكلها الواضح في رسومها ومهام صاحبها منذ السنوات الأولى لحكم الخلفاء الفاطميين لمصر، واستناداً إلى السجلات والوثائق المعاصرة يتبين أن وظيفة المحتسب كانت من الوظائف الدينية التي لا تسند إلاّ لوجوه المُسلمين وأعيان المعدِّلين، وكان يخرج للمحتسب عند تعيينه سجل من ديوان الانشاء الفاطمي، حيث كان هذا السجل بمثابة القانون أو الدستور لعمل صاحب الحسبة، لأنه يقرأ على الناس في جوامع القاهرة والفسطاط، ثم يطاف به في موكب للتعريف به وتصاحبه الطبول وحملة البنود [١٢٢].

وكان على المحتسب الفاطمي ونوابه الطواف على الاسواق والنظر فيها، ومراقبة اصحاب الحرف والصناعات والتدقيق في المعاملات الجارية، والمحافظة على الصحة العامة للمجتمع، كمراقبة محلات بيع الحلوى ومحلات اللحوم[١٢٣]، ومراقبة طرق الاسواق ومنع ألتجاوز عليها مثل أقامة البنايات لانها ملك للعامة وفيها مصلحتهم، وكذلك مراقبة المكاييل والموازين[١٢٤]، كونها أساس عملهم، ويبدوا في العصر الفاطمي أن دار ضرب العيار او مايعرف بدار السكة اصبحت ايضا من اختصاص المحتسب وتحت أشرافه[١٢٥].

وفي اول النصوص الواردة عن ادوارالمحتسب في العصر الفاطمي ماذكره المقريزي في أحداث شهر ذي الحجة سنة (٣٥٨هـ/٩٦٩م)، أذ ارتفعت أسعار البضائع والمنتوجات، وبالخصوص المواد الغذائية كالقمح، فما كان من جوهر الصقلي الا أن دفع الى أبو جعفر الخراساني بتولية الحسبة لاعادة ألامور الى مسارها الصحيح والسيطرة على السوق ضبط أسعار المواد الغذائية ومراقبتها من أجل توفير الأقوات لجميع الناس[١٢٦].

أن الرهبة التي مرت بها مصر في نهاية العصر الاخشيدي لم تكن لتختفي بسرعة في بداية العصر الفاطمي، وهذا مانراه واضحا في بداية شهر ربيع الآخر سنة (٣٥٩هـ/٩٧٠م)، وبالرغم من الأجراءات التي أتخذها جوهر الصقلي إلا أنّ الحالة أصبحت أكثر سوءاً، حيث ارتفعت الأسعار وصاحب هذه الظروف موت محتسب دولته، فعمل جوهر كما يروي المقريزي على رد الحسبة إلى سليمان بن عزة[١٢٧]، ومن خلال روايته يتبين لنا بأن سليمان بن عزة كان يتولى منصب الحسبة قبل أبي جعفر الخراساني ولكن لم ترد نصوص توضح هل كان محتسبا منذ العصر الاخشيدي ام منذ دخول جوهر مصر.

أن أسناد الحسبة الى سليمان بن عزة أعاد الامور الى طبيعتها في الاسواق، فقد عمل على مقاومة المشكلات التي كانت تتعرض لها البلاد، وقام بمهامه خير قيام، من أجل توفير الأقوات للناس وأصلاح أحوال الأسواق ورواية المقريزي عن ذلك خير دليل " فضبط الساحل، وجمع القماحين في موضع واحد، ولم يدع كف قمح يجمع إلاّ بحضرته، وضرب أحد عشر رجلاً من الطحانين وطيف بهم " [١٢٨]، وعمل كذلك على تنظيم الطرق في الاسواق، وجمع أصحاب الغلال في مكان مخصص لهم امام انظاره ومنع خروج شيء من الغلة حتى يقف عليه بنفسه[١٢٩].

وعلى مايبدو أن الفاطميين كانوا صارميين في مسألة من يتولى تنظيم وادراة دولتهم وأسناد ذلك الى خيرة رجالاتهم، وأنهم اخذوا من احداث سنة (٣٥٩هـ/٩٧٠م)، عبرة لهم حتى لاتشهد البلاد ماشهدته في عهدة المحتسب ابو جعفر الخراساني، فقد ذكر المؤرخون وضمن حوادث سنة (٣٦٣هـ/٩٧٣م)، أن الخليفة المعز لدين الله أسند وظيفة الحسبة إلى يعقوب بن كلس وعسلوج بن الحسن، الذين كانوا من ثقاة الخليفة ونالوا أعجابه في قداراتهم الادارية، وجمع لهم الشرطة وخراج الاموال وكتب لهما سجلاً بذلك وقرئ في المساجد [١٣٠]، ومن خلال احداث هذه السنة نلاحظ أن الحسبة في مصر الفاطمية قد شهد تطورا غير مسبوق يتمثل بأسنادها الى والي المدينة او من تولى الشرطة فيها[١٣١]، وهذا تداخل بين الوظيفتين، كما حدث في عهد

الخليفة الحاكم بأمر الله في سنة (٣٩٨هـ/١٠٠٧م)، أن ولي غالب بن مالك الشرطة والحسبة، وقرىء سجله بجامع بن طولون[١٣٢]، على أن غالب لم يستمر طويلا متوليا للحسبة فقد قتل بعدها بسنتين او اقل كما ذكرها المقريزي في أحداث شهر شوال سنة (٤٠٠هـ/١٠١٠م)، عنه بالقول " قتل غالب بن هلال ، متولي الشرطتين والحسبة في شوال "[١٣٣]، وتقلده الحسبة بعده أيضا محمد بن نزال متولي الشرطتين، كما أسندت أيضا أعمال الحسبة إلى شخص من البلاط الفاطمي يقال له متولي الستر[١٣٤]، كذلك تولى الحسبة في عهد الحاكم بأمر الله مسعود الصقلبي[١٣٥]، متولي الستر بلنظر في أمر الأسعار[١٣٦].

كما ذكر المؤرخون أن الخليفة الحاكم بأمر الله ، قد أسند وظائف الشرطة والحسبة إلى غبن الصقلبي[١٣٧]، ففي سنة (٤٠٢هـ/١٠١١م)، الذي جمع له الحسبة في كل من القاهرة والفسطاط والجيزة، وأوكل إليه منصب الشرطتين بالقاهرة والفسطاط والنظر في جميع الأموال والأحوال، ومنحه في سجل توليته لقباً " قائد القواد واستاذ الاستاذين " وأمر أن لا يكاتب ولا يخاطب إلاّ بذلك[١٣٨].

وعلى الرغم من تعدد الاشخاص والقادة والمتنفذين الذين تولوا الحسبة في عهد الخليفة الحاكم بأمر الله (٣٨٦-٤١١هـ/٩٩٦-١٠٢٠م)، ألا أنها (الحسبة) شهدت طفرة كبيرة في مضمونها تمثل في تولية الخليفة نفسه لادارتها والقيام بشؤونها، وقد انفرد الخليفة الحاكم بأمر الله عن غيره من خلفاء الدولة الفاطمية، بأن تولى إدارة هذه الوظيفة بنفسه، فهو الخليفة الوحيد الذي ينسب إليه المؤرخون أنه كان يباشر أعمال الحسبة بنفسه في الأسواق، وكان يركب حماره ويتجول في الأسواق لهذا الغرض[١٣٩]، وقد استمر الخليفة الحاكم بأمر الله في مراقبة الأسواق، فكان من عادته عندما يتجول في الأسواق لمباشرة أحوالها أن يصاحبه غلام يحمل له الدواة والورق في كيس معلق في كتفه وهو يمشي وراءه ، فكان يطرق أبواب الحوانيت ، فإذا كان لأحد من أهل الأسواق طلب أو شكوى تحدث إليه ، فيكتب العبد ما يأمر به الخليفة الحاكم بأمر الله في رقعة ثم ترفع إلى الوزير لتنفيذها [١٤٠]، وبقيت الحسبة بيد الخليفة طيلة سنتين من الحكم حتى أسندها سنة (٣٨٨هـ/٩٩٨م)، الى شخص يدعى أبي سعيد وقد ذكر المقريزي أن الخليفة الحاكم " خلع على أبي سعيد وقلده الحسبة " وبقي فيها ينظم شؤونها ويدبر أعمالها وينظر في كل مايرجع اليه من أمور السوق وأهله، وفي أحداث سنة (٣٩٠هـ/١٠٠٠م) يذكر المقريزي ايضا " خلع على جابر بن منصور الجودري جبة مثقلة ومنديل مذهب، وحمل بين يديه ثياب كثيرة، وقلد بسيف وندب ناظراً في السواحل والحسبة بمصر "[١٤١].

أن أهتمام الخلفاء الفاطميين بوظيفة الحسبة قد أدى الى تطورها بشكل ملحوظ وكبير وهذا الاهتمام انعكس على التطور فيها الى أزدهار الحياة التجارية والاقتصادية في القاهرة وغيرها من مدن مصر، وأتساع الاسواق والاهتمام بالزراعة والصناعة، وتطور ونمو الحرف والصناعات المختلفة، وكان من نتائج ذلك أن ازدحمت أسواقهم بالمنتوجات وتنوعت تجارتهم مع الامصار المختلفة في الداخل والخارج مما عزز دور المحتسب وعظم شأنه ووسع سلطانه بين الوظائف، وكان من توسع ادوار المحتسب في العصر الفاطمي ان تطلب الحاجة الى من يساعده في وظيفته كما ذكر سابقا، اذ يذكر المقريزي بعد ماشهدته القاهرة من اتساع الاسواق وكثرة التجارات وتنوع الحرف والصناعات ان تطلب الامر الى وجود مجموعتين من الاعوان والنواب للمحتسب في العصر الفاطمي، تتولى الاولى منهم مراقبة هذه الاسواق وتنظيمها ونقل كل مايدار فيها من معاملات تخص دور المحتسب اليه ، في حين يقتصر دور المجوعة الثانية على تنفيذ مايصدر من اوامر وقرارات من صاحب الحسبة وتطبيقها على الفور[١٤٢].

وكان للمحتسب على الاسواق في العصر الفاطمي أن يفرض الغرامات والجباية على اصحاب الحرف والتجارة دون الرجوع الى الخليفة، فيذكر في سنة (٤٠٣هـ/١٠١٢م)، وأثناء ولاية غبن الصقلبي على الحسبة أن اصدر الخليفة الحاكم بأمر الله قراراً أبطل فيه بعض رسوم الجبايات التي فرضها على بعض أصحاب الحرف والتجارات مثل " مكوس [١٤٣]، الحسبة "[١٤٤]، ومن خلال النص السابق يتضح بأن الحسبة كانت لها رسوم تحصل من الباعة والتجار في الأسواق في ذلك الوقت، ويبدو أيضاً أن الخليفة الحاكم بأمر الله أراد أن يخفف بهذا الاجراء عن كاهل أهل الأسواق فأمر بالغائها، واستمر غبن الصقلبي في منصبه حتى سنة (٤٠٤هـ/١٠١٣م)، ثم صرفه عن الشرطتين والحسبة .

ويتضح من خلال ما ذكر أن وظيفة الحسبة من الوظائف ألادارية الأساسية والمهمة في المجتمع الإسلامي ذلك لإرتباطها بحياة الناس من جهة، ولحاجة الدولة اليها في تنظيم أدارتها لكل مايدار في أسواق من معملات تجارية وأقتصادية تدل على قوة الدولة وتطورها من جهة أخرى، على أن هذه الوظيفة كانت على تماس مباشر مع نمو المجتمع وتطور نظمه الاقتصادية وأوضاعه الاجتماعية واتساع رقعته حتى أصبحت من أهم دعائم النظام الاقتصادي والاجتماعي للدولة، واستمرت هذه الوظيفة المهمة (الحسبة)، تؤدي دورها في تنظيم الامور الجارية بين الناس في كافة شؤون الحياة المعيشية، وعند دخول جوهر الصقلي مصر فاتحا للفاطميين البلاد سنة (٣٥٨هـ/٩٦٩م)، وأحكام سيطرته في بادئ ألامرعلى مدينة الفسطاط، كانت أوضاع البلد من

الناحية ألاقتصادية غير مستقرة كما ذكر في نهاية العصر الاخشيدي، لذلك كان عليه أن يبذل الكثير من أجل أستقرار الوضع من جانب واستمالة المصريين لحكم الفاطميين من جهة أخرى، فيذكر المقريزي[١١٩]، أن جوهر قبيل دخوله الفسطاط وزع ألاموال على الناس لتحسين وضعهم وأستمالة قلوبهم وتهيئتهم للقادميين من المغرب، وأتخذ من المسجد الكبير فيها مقرا له، كذلك ذكر أن جوهر طلب من أهالي المدينة ممن يتوفر لديه القمح بأخراجه للناس مقابل المال[١٢٠]، ونظم البيع والشراء في المدينة وغير فيها حتى شهدت الفسطاط شيء من ألاستقرار، وبعد ذلك عمد الى جمع خراج مصر الذي بلغ في تلك السنة مايقارب ثلاثة ملايين واربعمائة الف دينار وهو مبلغ كبير جدا عما كان في العصر الاخشيدي، وهو بذلك يكون أولى من تولى الحسبة في مصر في العصر الفاطمي.

وقبل التطرق للحسبة في هذا العصر لابد من ألاشارة الى أن المصادر التأريخية ذكرت أن التطور والنفوذ والرسوم التي شهدتها وظيفة الحسبة في مصر أثناء العصر الفاطمي لم تشهدها نظريتها في بقية أمصار الدولة الاسلامية لا بالمشرق أو في المغرب، أذ تعددت أعمال المحتسب وتنوعت أساليبه وأهتمت الخلافة في مسألة من يتولى أدارتها والقيام بها، فيذكر أن المحتسب أخذ يتمتع بنفوذ كبير منح له من الخلفاء أنفسهم شأنه شأن القاضي أنذاك، وعين له النواب وألاعوان لمساعدته في مهامه، وأتخذ له مقرا خاص ولأعوانه وكان ذلك في الجامعين في الفسطاط يوما لها وللقاهرة يوما أخر[١٢١]، على أن كل مايتمتع به المحتسب من نفوذ وسعة في السلطة وهيبة في المقام يعود الى عهد الخليفة المعز لدين الله (٣٤١-٣٦٥هـ/٩٥٢-٩٧٥م)، وسار عليه الخلفاء من بعده، ومهما كانت الأمور فإن وظيفة المحتسب من الوظائف التي بدأت تأخذ شكلها الواضح في رسومها ومهام صاحبها منذ السنوات الأولى لحكم الخلفاء الفاطميين لمصر، واستناداً إلى السجلات والوثائق المعاصرة يتبين أن وظيفة المحتسب كانت من الوظائف الدينية التي لا تسند إلاّ لوجوه المُسلمين وأعيان المعدِّلين، وكان يخرج للمحتسب عند تعيينه سجل من ديوان الانشاء الفاطمي، حيث كان هذا السجل بمثابة القانون أو الدستور لعمل صاحب الحسبة، لأنه يقرأ على الناس في جوامع القاهرة والفسطاط، ثم يطاف به في موكب للتعريف به وتصاحبه الطبول وحملة البنود [١٢٢].

وكان على المحتسب الفاطمي ونوابه الطواف على الاسواق والنظر فيها، ومراقبة اصحاب الحرف والصناعات والتدقيق في المعاملات الجارية، والمحافظة على الصحة العامة للمجتمع، كمراقبة محلات بيع الحلوى ومحلات اللحوم[١٢٣]، ومراقبة طرق الاسواق ومنع ألتجاوز

عليها مثل أقامة البنايات لانها ملك للعامة وفيها مصـــلحتهم، وكذلك مراقبة المكاييل والموازين[١٢٤]، كونها أســاس عملهم، ويبدوا في العصـــر الفاطمي أن دار ضـــرب العيار او مايعرف بدار السكة اصبحت ايضا من اختصاص المحتسب وتحت أشرافه[١٢٥].

وفي اول النصوص الواردة عن ادوارالمحتسب في العصر الفاطمي ماذكره المقريزي في أحداث شـهر ذي الحجة سـنة (٣٥٨هـــ/٩٦٩م)، أذ ارتفعت أسـعار البضـائع والمنتوجات، وبالخصـــوص المواد الغذائية كالقمح، فما كان من جوهر الصـــقلي الا أن دفع الى أبو جعفر الخراساني بتولية الحسبة لاعادة ألامور الى مسارها الصحيح والسيطرة على السوق ضبط أسعار المواد الغذائية ومراقبتها من أجل توفير الأقوات لجميع الناس[١٢٦].

أن الرهبة التي مرت بها مصـر في نهاية العصـر الاخشـيدي لم تكن لتختفي بسـرعة في بداية العصر الفاطمي، وهذا مانراه واضحا في بداية شهر ربيع الآخر سنة (٣٥٩هـــ/٩٧٠م)، وبالرغم من الأجراءات التي أتخذها جوهر الصـــقلي إلا أنّ الحالة أصـــبحت أكثر ســـوءاً، حيث ارتفعت الأسـعار وصـاحب هذه الظروف موت محتسـب دولته، فعمل جوهر كما يروي المقريزي على رد الحسـبة إلى سـليمان بن عزة[١٢٧]، ومن خلال روايته يتبين لنا بأن سـليمان بن عزة كان يتولى منصـب الحسبة قبل أبي جعفر الخراساني ولكن لم ترد نصـوص توضـح هل كان محتسبا منذ العصر الاخشيدي ام منذ دخول جوهر مصر.

أن أسـناد الحسـبة الى سـليمان بن عزة أعاد الامور الى طبيعتها في الاسـواق، فقد عمل على مقاومة المشـــكلات التي كانت تتعرض لها البلاد، وقام بمهامه خير قيام، من أجل توفير الأقوات للناس وأصـلاح أحوال الأسـواق ورواية المقريزي عن ذلك خير دليل " فضـبط السـاحل، وجمع القماحين في موضع واحد، ولم يدع كف قمح يجمع إلاّ بحضرته، وضرب أحد عشر رجلاً من الطحانين وطيف بهم " [١٢٨]، وعمل كذلك على تنظيم الطرق في الاسـواق، وجمع أصـحاب الغلال في مكان مخصـــص لهم امام انظاره ومنع خروج شـــيء من الغلة حتى يقف عليه بنفسه[١٢٩].

كان الفاطميين كانوا صـارميين في مسـألة من يتولى تنظيم وادراة دولتهم وأسـناد ذلك الى خيرة رجالاتهم، وأنهم اخذوا من احداث سـنة (٣٥٩هـــ/٩٧٠م)، عبرة لهم حتى لاتشـهد البلاد ماشـهدته في عهدة المحتسـب ابو جعفر الخراسـاني، فقد ذكر المؤرخون وضـمن حوادث سـنة (٣٦٣هـــ/٩٧٣م)، أن الخليفة المعز لدين الله أسند وظيفة الحسبة إلى يعقوب بن كلس وعسلوج بن الحســن، الذين كانوا من ثقاة الخليفة ونالوا أعجابه في قداراتهم الادارية، وجمع لهم الشــرطة

وخراج الاموال وكتب لهما سجلاً بذلك وقرئ في المساجد [١٣٠]، ومن خلال احداث هذه السنة نلاحظ أن الحسبة في مصر الفاطمية قد شهد تطورا غير مسبوق يتمثل بأسنادها الى والي المدينة او من تولى الشرطة فيها[١٣١]، وهذا تداخل بين الوظيفتين، كما حدث في عهد الخليفة الحاكم بأمر الله في سنة (٣٩٨هـ/١٠٠٧م)، أن ولي غالب بن مالك الشرطة والحسبة، وقرىء سجله بجامع بن طولون[١٣٢]، على أن غالب لم يستمر طويلا متوليا للحسبة فقد قتل بعدها بسنتين او اقل كما ذكرها المقريزي في أحداث شهر شوال سنة (٤٠٠هـ/١٠١٠م)، عنه بالقول " قتل غالب بن هلال ، متولي الشرطتين والحسبة في شوال "[١٣٣]، وتقلده الحسبة بعده أيضا محمد بن نزال متولي الشرطتين، كما أسندت أيضا أعمال الحسبة إلى شخص من البلاط الفاطمي يقال له متولي الستر[١٣٤]، كذلك تولى الحسبة في عهد الحاكم بأمر الله مسعود الصقلبي[١٣٥]، متولي الستر بلنظر في أمر الأسعار[١٣٦].

كما ذكر المؤرخون أن الخليفة الحاكم بأمر الله ، قد أسند وظائف الشرطة والحسبة إلى غبن الصقلبي[١٣٧]، ففي سنة (٤٠٢هـ/١٠١١م)، الذي جمع له الحسبة في كل من القاهرة والفسطاط والجيزة، وأوكل إليه منصب الشرطتين بالقاهرة والفسطاط والنظر في جميع الأموال والأحوال، ومنحه في سجل توليته لقباً " قائد القواد واستاذ الاستاذين " وأمر أن لا يكاتب ولا يخاطب إلاّ بذلك[١٣٨].

وعلى الرغم من تعدد الاشخاص والقادة والمتنفذين الذين تولوا الحسبة في عهد الخليفة الحاكم بأمر الله (٣٨٦-٤١١هـ/٩٩٦-١٠٢٠م)، ألا أنها (الحسبة) شهدت طفرة كبيرة في مضمونها تمثل في تولية الخليفة نفسه لادارتها والقيام بشؤونها، وقد انفرد الخليفة الحاكم بأمر الله عن غيره من خلفاء الدولة الفاطمية، بأن تولى إدارة هذه الوظيفة بنفسه، فهو الخليفة الوحيد الذي ينسب إليه المؤرخون أنه كان يباشر أعمال الحسبة بنفسه في الأسواق، وكان يركب حماره ويتجول في الأسواق لهذا الغرض[١٣٩]، وقد استمر الخليفة الحاكم بأمر الله في مراقبة الأسواق ، فكان من عادته عندما يتجول في الأسواق لمباشرة أحوالها أن يصاحبه غلام يحمل له الدواة والورق في كيس معلق في كتفه وهو يمشي وراءه ، فكان يطرق أبواب الحوانيت ، فإذا كان لأحد من أهل الأسواق طلب أو شكوى تحدث إليه ، فيكتب العبد ما يأمر به الخليفة الحاكم بأمر الله في رقعة ثم ترفع إلى الوزير لتنفيذها [١٤٠]، وبقيت الحسبة بيد الخليفة طيلة سنتين من الحكم حتى أسندها سنة (٣٨٨هـ/٩٩٨م)، الى شخص يدعى أبي سعيد وقد ذكر المقريزي أن الخليفة الحاكم " خلع على أبي سعيد وقلده الحسبة " وبقي فيها ينظم شؤونها ويدبر أعمالها وينظر في

كل مايرجع اليه من أمور السوق وأهله، وفي أحداث سنة (٣٩٠هـ/١٠٠٠م) يذكر المقريزي ايضا " خلع على جابر بن منصـــور الجودري جبة مثقلة ومنديل مذهب، وحمل بين يديه ثياب كثيرة، وقلد بسيف وندب ناظراً في السواحل والحسبة بمصر "[١٤١].

أن أهتمام الخلفاء الفاطميين بوظيفة الحســبة قد أدى الى تطورها بشــكل ملحوظ وكبير وهذا الاهتمام انعكس على التطور فيها الى أزدهار الحياة التجارية والاقتصادية في القاهرة وغيرها من مدن مصر، وأتساع الاسواق والاهتمام بالزراعة والصناعة، وتطور ونمو الحرف والصناعات المختلفة، وكان من نتائج ذلك أن ازدحمت أســواقهم بالمنتوجات وتنوعت تجارتهم مع الامصــار المختلفة في الداخل والخارج مما عزز دور المحتسب وعظم شأنه ووسع سلطانه بين الوظائف، وكان من توســع ادوار المحتســب في العصــر الفاطمي ان تطلب الحاجة الى من يســاعده في وظيفته كما ذكر سابقا، اذ يذكر المقريزي بعد ماشهدته القاهرة من اتساع الاسواق وكثرة التجارات وتنوع الحرف والصــناعات ان تطلب الامر الى وجود مجموعتين من الاعوان والنواب للمحتســب في العصــر الفاطمي، تتولى الاولى منهم مراقبة هذه الاسواق وتنظيمها ونقل كل مايدار فيها من معاملات تخص دور المحتسب اليه ، في حين يقتصر دور المجوعة الثانية على تنفيذ مايصدر من اوامر وقرارات من صاحب الحسبة وتطبيقها على الفور[١٤٢].

وكان للمحتســب على الاســواق في العصــر الفاطمي أن يفرض الغرامات والجباية على اصحاب الحرف والتجارة دون الرجوع الى الخليفة، فيذكر في سنة (٤٠٣هـ/١٠١٢م)، وأثناء ولاية غبن الصــقلبي على الحســبة أن اصــدر الخليفة الحاكم بأمر الله قراراً أبطل فيه بعض رســوم الجبايات التي فرضها على بعض أصحاب الحرف والتجارات مثل " مكوس [١٤٣]، الحسبة "[١٤٤]، ومن خلال النص الســابق يتضــح بأن الحســبة كانت لها رســوم تحصــل من الباعة والتجار في الأسواق في ذلك الوقت، ويبدو أيضــاً أن الخليفة الحاكم بأمر الله أراد أن يخفف بهذا الاجراء عن كاهل أهل الأســـواق فأمر بالغائها ، واســـتمر غبن الصـــقلبي في منصـــبه حتى ســـنة (٤٠٤هـ/١٠١٣م)، ثم صرفه عن الشرطة والحسبة .

ويبدو أن غبن لم يستمر طويلا على الحسبة، أذ أسندت بعده الى مظفر الصقلبي الذي ذكره المقريزي بأنه من خواص الخليفة الفاطمي وصاحب مظلته[١٤٥]، وهذا ألاخير لم يتولاها لفترة طويلة ايضا، ففي سنة (٤٠٨هـ/١٠١٧م)، ذكر أبن الصيرفي أن " أبو الحسن علي بن جعفر بن فلاح " بأنه في شهر رجب سنة (٤٠٨هـ/١٠١٧م)، كتب له سجل بذلك جا فيه " فكان الناظر في جميع رجال الدولة، وجعل له في سجله ولاية الإسكندرية وتنيس ودمياط، والشرطتين العليا والسفلى

والحسبة " [١٤٦]، وقد أغفلت المصادر القريبة من الفاطميين عن ذكر من تولى الحسبة على الاسواق بعد الوزير أبو الحسن من رجال دولتهم حتى نهاية عهد الخليفة الحاكم بأمر الله (٤١١هـ/١٠٢٠م)، وفي تطور أخر لوظيفة الحسبة في العصر الفاطمي نرى أن أسنادها لم يقتصر على رجالات الدولة او من خواص الخليفة او الوالي او صاحب الشرطة، وذا ما أشار اليه المقريزي قائلاً " قتل الحاكم ابن أبي نجدة، وكان بقالاً فترقت أحواله حتى ولي الحسبة، ودخل فيما لا يليق به وأساء في معاملة الناس، فأعتقل، ثم قطعت يده ولسانه وشهر على جمل وضربت عنقه "[١٤٧]، وروايته كانت في سنة (٣٩١هـ/١٠٠٠م)، أي في الفترة ألاخيرة من حكم الخليفة الحاكم بأمر الله، ونستدل من خلالها أن صاحب الحسبة يتم أختياره من بين أعيان الصناع أو أصحاب الحرف من ذوي الخبرة أو التجار، على أن قيام الفاطميين الى أسنادها الى أهل الحرف والصناعات يمكن أن يفسر بأنه حكيم اذ أنهم أقرب إلى فهم ما يجري فيها وكيفية استخدام الوسائل المناسبة للتعامل مع الباعة والتجار.

في سنة (٤١١-٤٢٧هـ/١٠٢٠-١٠٣٥م)، تولى الظاهر لآعزاز دين الله الخلافة بعد وفاة الحاكم، وفي عهده أسندت الحسبة على الاسواق الى صنف أخر من رجالات الدولة، أذ عرضها على أبو سعيد محمد بن أحمد بن محمد العميدي[١٤٨]، في شهر رجب سنة(٤١٤هـ/١٠٢٣م)، الذي كان يتولى ألاشراف على ديوان الترتيب، ألأ أنه لم يتولاها طويلا لعدم رغبته بذلك فيذكر عنه قائلا "كنت بالامس جليس امير المؤمنين وصاحب خريطته، اصير اليوم محتسباً، لم أكن لأفعل"[١٤٩]، ومن رواية المسبحي نستنتج أن ولاية الحسبة وبالرغم من عظم شأنها وسعة سلطانها بين سائر وظائف الدولة لم تكن لتلبي مطامح رجالات الفاطميين أنذاك وألا لما رفضها العميدي، ويلاحظ المتتبع لسيرة الخليفة الظاهر لاعزاز عدم أستقرار الحسبة ومن تولى النظر فيها، اذ أن تعدد من كان عليها خلال فترة قصيرة خير دليل على ذلك، اذ بعد ترك العميدي للحسبة أسندها الخليفة الى دواس بن يعقوب الكتماني، في محاولة الى تقريب قبيلة كتامة المغربية منه بأسناد بعض الوظائف اليهم، فقلده الحسبة والاسواق والرقابة على السواحل وتنظيمها[١٥٠]، ويبدو أن دواس قد تولى الحسبة على اسواق القاهرة مرتيين، فبعد توليته للحسبة عزل بعدها بفترة قصيرة واسندت الى غيره من رجالات القصر الفاطمي، على أن الخليفة الظاهر اعادها اليه في سنة (٤١٥هـ/١٠٢٤م)، بعد أن عزل بقي الخادم عنها[١٥١]، ويبدو أن قلة النصوص المتوفرة عن الحسبة على الاسواق منذ نهاية عهد الخليفة الظاهر وحتى عهد الخليفة ألامر بأحكام الله المنصور ابو علي (٤٩٥-٥٢٤هـ/١١٠١-١١٣٠م)، لاتدل على ضياع وظيفة

الحسبة او انعدامها خلال هذه الفترة في العصر الفاطمي بل جرت العادة في الفترة المذكورة الى اسناد الرقابة على اسواق القاهرة والفسطاط وظائف أخرى بعضها أكثر أهمية مما يجعل ذكرها لا يضيف شيئاً إلى المناصب التي يشغلها صاحبها،وما ذكره القلقشندي عن والي الفسطاط في العصر الفاطمي، الذي صرفت اليه الحسبة في وقته بالقول" ... وأنظر في الحسبة نظراً من يحتسب ما عند الله خير وأبقى ... " [١٥٢]، من خلال هذه الفترة لم ترد سوى أشارة واحدة عن الحسبة نقلها أبن المأمون لنا تتحدث عن تولي جعفر بن علون الملقب بذخيرة الملك[١٥٣]، الولاية على مدينة القاهرة وأسندت اليه الحسبة للنظر فيها، وكان ذلك في سنة (٥١٦هـ/١١٢٢م)[١٥٤].

ومما ينبغي الإشارة إليه إن مدن مصر في العصر الفاطمي كانت تمثل عاملاً من عوامل إزدهار الحرف والصناعات، وفي مساحتها المحدودة يتجمع عدد كبير من أصحاب الحرف والصناعات والعمال من مختلف الأجناس والأديان متقاربين في السكن، ومتصلين بعضهم ببعض في حياتهم اليومية بالأسواق وهذا كان عائدا لساسية الخلفاء الفاطميين على التقريب بين أجناس المجتمع المصري دون تمييز على النقيض تماما مما تذكره بعض المصادر التاريخية التي تحاول تشويه سمعهتم، على أن هذا التقريب الذي فرضته الحياة الطبيعية بينهم نتج عنه روابط اقتصادية كلاً في مجال تخصصهِ، أن اتساع المدن وتنوع التجارة والصناعة وتعددها في العصر الفاطمي وأهتمام الدولة بالسوق واحواله وتنظيم الوضع فيه بل وصل الحد في أسواق القاهرة والفسطاط الى ظهور أسواق الاصناف كما ذكرنا مسبقا، ونشأ على هذا الأساس نظام الطوائف الحرفية والتي هي عبارة عن تجمعات كبيرة تضم كُل رؤساء حرفة معينة تنظم طريقة ممارستهم لها وتتولى الأشراف على أنشطة المنتمين إليها وكان في كُل أسواق القاهرة وعلى أرباب كُل صنعة من الصنائع والحرف المهنية شخص يسمى عريف السوق يتولى أمورهم وما ذكره المقريزي بالقول " وهناك عريف الخبازين، لهُ دكان يبيع الخبز فيه"[١٥٥]، وفي رواية اخرى ينقلها ابن مأمون" في سنة سبع عشرة وخمسمائة، تقدم أمر المأمون إلى والي مصر ووالي القاهرة، باحضار عرفاء السقائين، وأخذ الحجج على المتعيشين منهم، بالقاهرة بحضورهم متى مادعت الحاجة اليهم ليلاً ونهاراً "[١٥٦]، على أن العرفاء الذين تحملوا هذه المسؤلية في العصر الفاطمي كانت لهم من الصفات والمميزات ماينفردون بها دون غيرهم من سائر الخلق ذلك لانهم عدوا العريف بمثابة عين للمحتسب في دولتهم، يطلعهُ على أخبار صنعتهُ وأحوال السوقة، ويدلهُ على مواطن الغش والتدليس التي قد يلجأ اليها بعض أهل الحرف والصناعات لغش سلعهم ومنتوجاتهم، اومايصنع من أصناف الأطعمة في أسواق الطباخين[١٥٧]، وكذلك منها

ان يكون على دراية بأمور الصناعة والحرفة التي يشرف عليها، ومشهوداً لهُ بالثقة والأمانة، لابد من القول أن الدولة الفاطمية لم تترك الأسواق على حالها خصوصا تلك التي كانت موجودة قبل دخولهم مصر والاسواق التي أنشؤوها فيما بعد كأسواق القاهرة والساحل، فعلى الرغم من أنها تنظم عملية البيع والشراء وعملية التخصص لكُل سوق من أسواقها بنوع معين من السلع والبضائع، فقد اهتمت ايضاً بجمالية الأسواق وسهولة التسوق فيها، الأمر الذي أدى ان تتدخل الدولة في منع تضيق السوق عن طريق منع الباعة المتجولين من الجلوس في طرقات الأسواق، وهذا كلهُ انعكس على طبيعة السياسة التي مارستها الدولة الفاطمية في ذلك الوقت ونتيجة تلك السياسة ، كان لابد من أن يلتزم هؤلاء الصناع بأوامر المحتسبين وينقل لنا الشيزري ذلك بالقول" في الحسبة على البقالين، وباعة الخضروات، فإن المحتسب يأمرهم ببيع البقول مغسولة ومنقاة من الحشيش والطاقات المصفرة ويأمرهم بقطع أصول الخس والفجل، وينهاهم عن غسل البصل والثوم الرطبين، فإن الماء يزدهما زفرة وإذا بات في دكاكينهم شيء من ذلك فلا يخلطونهُ بالطري المقطوع في اليوم"[١٥٨].

الخاتمة:

لا شك بأن الحسبة كوظيفية نشأت بسيطة في بداية قيام الدولة العربية الاسلامية، شأنها شأن بقية الوظائف الادارية التي فرضها واقع الحياة في المجتمع المسلم، وكانت في بداياتها غير مستقلة لا في التولية ولا في الادارة والعمل، اذ ارتبطت بعمل الخليفة او الوالي في الامصار الاسلامية وفي بعض الاحيان ترتبط بالقاضي او صاحب الشرطة، ثم أخذت هذه الوظيفة بتطور المجتمع ونمو الحياة وتوسع التجارة والصناعات بأخذ مكانها المستقل والمنفرد عن بقية وظائف الدولة بكل جوانبها، وهذا ما بدى واضحا على الحسبة والمحتسبين في مصر في العصر الفاطمي، اذ يبدء الامر برسم تولية يصدر من الخليفة نفسه وينشر على الناس من جامع المدينة، ثم مقر الحسبة وأعوان المحتسب أنتهاءا عند طرق تنفيذ الاحكام واصدار القرارات.

ويمكن القول ان الخلفاء الفاطميين أهتموا بالحسبة لانهم وجدوا فيها مايسند ويثبت حكمهم من خلالها، حتى تولى الخليفة الحاكم بأمر الله الحسبة بنفسه، لتحقيق الحق ونشر العدالة بين سائر الناس، وبهذا نستنتج أن الحسبة كوظيفة أدارية ودينية لايمكن الاستغناء عنها في تطبيق الحدود وانتشار الحق بين افراد المجتمع المسلم، وأنها ترافق الناس وترتبط بهم بكل زمان ومكان بشرط أن يتم تطبيق احكامها بما أمرنا الله سبحانه وتعالى بدينه الحنيف.

الهوامش:

(١) أبن منظور، ج١، ص٣١٣.

(٢) الفيروزأبادي، ص٩٥.

(٣) تاج العروس، ج٢، ص٢٧٨.

(٤) لسان العرب، ج١، ص٢٧٨.

(٥) الازهري، تهذيب اللغة، ج٤، ص١٩٣.

(٦) أبن زكريا، معجم مقاييس اللغة، ج٢، ص٤٩٣.

(٧) الصحاب بن بن عبادة، المحيط في اللغة، ج٢، ص٤٩٢-٤٩٣.

(٨) الماوردي، ص٢٤٠.

(٩) أبى يعلى، الاحكام السلطانية، ص٢٨٤.

(١٠) القران الكريم، ال عمران، اية١٠٤.

(١١) الماوردي، الاحكام السلطانية،ج١، ص٢٧٠. النويري، نهاية الرتبة، ج٦، ص٢٤٢.

(١٢) ابن خلدون، مقدمة، ج١، ص٢٢٥.

(١٣) نفح الطيب، ج١، ص٣٦٥.

(١٤) خليفة، كشف الظنون، ج١، ص١٥.

(١٥) القران الكريم، ال عمران، اية١٠٤.

(١٦) القران الكريم، ال عمران، اية١١٠.

(١٧) القران الكريم، الاعراف، اية١٥٧.

(١٨) القران الكريم، لقمان، اية١٧.

(١٩) القران الكريم. التوبة، اية ٧١.

(٢٠) القران الكريم، الحج، اية٤١.

(٢١) أبن ماجه، سنن أبن ماجه، ج٢، ص١٣١.

(٢٢) الترمذي، سنن الترمذي، ج٤، ص٤٦٩، ج٢، ص١٣٢٧.

(٢٣) الترمذي، ج٢، ص١٣٢٧.

(٢٤) أبن ابي الدنيا، الامر بالمعروف، ص٥. أبن ابن القيم، الجواب الكافي، ص٢٩-٣٠.

(٢٥) السيوطي، جامع الاحاديث، ج١، ص٤٢٣.

(٢٦) البهيقي، سنن البهيقي، ج١٠، ص٩٣

(٢٧) ابن ابي الدنيا، الامر بالمعروف، ٦٠.

(٢٨) ابن وضاح، البدع، ص٣٠٥.

(٢٩) الطبراني، المعجم الوسيط، ج٢، ص٩٦. الهيثمي، مجمع الزوائد، ج٧، ص٢٦٦.

(٣٠) القران الكريم، ال عمران، اية١٠٤.

(٣١) ابن بسام، نهاية الرتبة، ص٢من المقدمة.

(٣٢) الطبري، تاريخ الطبري، ج٣، ص٤٢٦.

(٣٣) القلقشندي، صبح الاعشى.ابن حجر، ابناء الغمر. السخاوي، الضوء اللامع. ابن العماد، شذرات الذهب.

(٣٤) أمين، الحسبة في الاسلام ودورها في الحفاظ على البيئة، ص٦٦.

(٣٥) المعجم الوسيط، ج١، ص١٧٢.

(٣٦) ابن الاخوة، معالم القربة،ص٢.

(٣٧) ابو زيد، الحسبة في مصر الاسلامية، ص١٠٥.

(٣٨) الشيرازي، نهاية الرتبة، ص١٠.ابن بسام، معالم القربة، ص٦٥.

(٣٩) المقدمة، ج١، ص١٨٧.

(٤٠) الماوردي، الاحكام السلطانية، ص٦٤.

(٤١) الغزالي، أحياء علوم الدين، ج٦، ص٣١٢. أبن الاخوة، معالم القربة، ص٢.

(٤٢) القران الكريم، النساء، اية ١٤١.

(٤٣) الماوردي، الاحكام السلطانية، ص٢٧١.

(٤٤) الشيرازي، نهاية الرتبة، ص١١٨-١١٩.

(٤٥) القلقشندي، صبح الاعشى، ج١٠، ص٢٧٥.

(٤٦) ابن خلدون، المقدمة، ص٥٧٧.

(٤٧) يراد بهما الجامع الذي بناه عمربن العاص وجامع الازهر.

(٤٨) المقريزي، الخطط المقريزية، ج١، ص٤٦٣.سلطان، الاسواق في مصر، ص٥٣.

(٤٩) حسن، تاريخ الدولة الفاطمية، ص٣٢٢.

(٥٠) المقدمة، ج١، ص١٦٠-١٦١.

(٥١) الاحكام السلطانية، ص٦٩-٢٣١.

(٥٢) معالم القربة، ص٥٦.

(٥٣) الخطط المقريزية، ج١، ص٤٦٤.

(٥٤) الخطط المقريزية، ج١، ص٤٦٤. اتعاظ الحنفا، ج١، ص٣٩٨-٣٤٣.

(٥٥) الكندي، الولاة والقضاة، ص٥٩٧.

(٥٦) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٢، ٣٤٧.

(٥٧) الشيرازي، نهاية الرتبة، ص١٠-١١.

(٥٨) ابن الاخوة، معالم القربة، ص٦٥. ابن بسام، نهاية الرتبة، ص٥٨. ابو زيد، الحسبة في مصر، ص١٢٧.

(٥٩) المقريزي، اغاثة الامة، ص١٥.

(٦٠) المقريزي، المصدر نفسه، ص١٨-١٩.

(٦١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٥، ص٦٩-٧٠.

(٦٢) الانتصار، ج٤، ص٢٣.

(٦٣) ابن المأمون، نصوص من اخبار مصر، ص٦٩-٧٠. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص٧٠-٧١.

(٦٤) نهاية الرتبة في طلب الحسبة، ص١٢.

(٦٥) ابن بسام، نهاية الرتبة، ص٢٩٧.

(٦٦) اغاثة الامة، ص١٥.

(٦٧) الشيرازي، نهاية الرتبة، ص٦٢.

(٦٨) ماجد، نظم الفطميين ورسومهم،ج١، ص١٧١.

(٦٩) القلقشندي، صبح الاعشى، ج٣، ص٥٥٩. المقريزي، الخطط المقريزية، ج٢، ص٥١٦.

(٧٠) الشيرازي، نهاية الرتبة، ص٢٠٥.

(٧١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٥، ص١٨٤-١٨٥

(٧٢) نصوص من اخبار مصر، ص٣٣-٣٤. اتعاظ الحنفا، ج١، ص١٩٠-ص٣٠٨.

(٧٣) الشيرازي، المصدر نفسه، ص١٣. ابن بسام، المصدر نفسه، ٢٩٦.

(٧٤) أحسن التقاسيم، ص١٧٠.

(٧٥) الحدراوي، أثر الأزمات الاقتصادية والكوارث الطبيعية في مصر خلال العصر الفاطمي (٣٥٨-٥٦٧هـ/٩٦٨-١١٧١م)، اطروحة دكتوراه جامعة القادسية.

(٧٦) سيبويه المصري: هو أبو بكر محمد بن موسى بن عبد العزيز الكندي الصيرفي المعتزلي، المعروف بسيبويه، ولد بمصر سنة (٢٨٤هـ/٨٩٧م)، كان يحفظ القرآن ويعلم كثيراً من معانيه وقراءاته وغريبه واعرابه، وكان عالماً بالحديث وبالرواة، ويعرف من النحو والغريب ما لقب بسببه سيبويه، توفي في شهر صفر سنة (٣٥٨هـ/٩٦٩م) .ابن زولاق، كتاب أخبار سيبويه المصري ، ص ١٧-١٨.

(٧٧) محمد بن جعفر بن سلام ، وهو أحد المحتسبين الذين تولوا حسبة مصر خلال العصر الأخشيدي. ابن زولاق، كتاب أخبار سيبويه المصري، ص٥٣-٥٤ ؛ أبو زيد، الحسبة في مصر الاسلامية، ص٧٠.

(٧٨) أبو الفضل جعفر بن الفضل بن جعفر بن محمد بن موسى بن الحسن بن الفرات الوزير، المعروف بابن حنزابة، ولد سنة (٣٠٨هـ/٩٢٠م)، وتقلد الوزارة لكافور الأخشيدي بمصر، واستمر على وزارته الى أن توفى كافور فاستقل بالوزارة وتدبير المملكة لأحمد بن علي بن الاخشيدي بالديار المصرية والشامية، توفي سنة (٣٩١هـ/١٠٠٠م). ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٩، ص١٦٨؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٤، ص١٣٤.

(٧٩) كتاب اخبار سيبويه المصري، ص٥٣-٥٤.

(٨٠) ابن زولاق، المصدر نفسه، ص٣٠-٣١.

(٨١) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج١، ص١٨٨-١٨٩.

(٨٢) اغاثة الامة، ص٨-٩-١٠.

(٨٣) عن اسواق مصر في العصر الفاطمي ينظر: الشيخ الامين، اسواق القاهرة منذ العصر الفاطمي حتى نهاية عصر المماليك.

(٨٤) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ج١، ص٢٤-٢٥.

(٨٥) ابن دقماق، الانتصار، ص٢٢.

(٨٦) لم ترد له ترجمة تذكر في المصادر.

(٨٧) ابن دقماق، المصدر نفسه،٢٣-٢٤. الامين، اسواق القاهرة، ص٢٠.

(٨٨) الامين، المصدر نفسه، ص٢٢.

(٨٩) سفرنامة، ص٦٠.

(٩٠) الامين، المصدر نفسه، ص٢٢-٢٣.

(٩١) تختلف عن الاسواق في كونها سطوحها مسقوفة.

(٩٢) للمزيد حول القياسر في العصر الفاطمي. ابن دقماق، الانتصار. الامين، اسواق القاهرة.

(٩٣) المقريزي، الخطط المقريزية، ج٢، ص١٤٣.

(٩٤) الانتصار، ج٥، ١١٩.

(٩٥) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٣، ص١٨٧-١٨٨.

(٩٦) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص٥٥-٥٦.

(٩٧) المقريزي، الخطط المقريزية، ج١، ص١٠٩-١١٠.

(٩٨) المقريزي، الخطط المقريزية، ج٣، ص١٧٢-١٧٣.

(٩٩) أراضي اللواق: ويراد بها الاراضي التي تشمل البساتين والمزروعات في القاهرة، وكانت هذه الأراضي خالية من البناء. المقريزي، الخطط المقريزية، ج٣، ص٢١٠.

(١٠٠) باب البحر:ويسمى باب الريح، بناهُ الأفضل بن بدر الجمالي (٤٨٧-٥١٥هـ/١٠٩٤-١١٢١م)، على شكل سور على البستان الذي يعرف بالبستان الكبير، وهو أحد بساتين الجيوشية عرف بهذا الاسم نسبة الى الوزير بدر الجمالي.ابن عبد الظاهر، الروضة البهية، ص١٣-١٢٨.

(١٠١) المقص: اسم قرية تقع على ساحل نهر النيل، كانت تعرف في عصر ما قبل الإسلام بأسم أم أدنين، وذلك لأن المكاس كان يستخرج منهاثم عربت هذه الكلمة فأصبحت مقس. الحموي، معجم البلدان ،ج٥، ص١٧٥؛ ابن عبد الظاهر، الروضة البهية، ص١٢٥.

(١٠٢) بين القصرين: عبارة عن محلة كبيرة في القاهرة تقع بين القصرين الشهيرين، هما القصر الخليفي الكبير او مايسمى بالقصر الشرقي، الذي بناه جوهر الصقلي قائد الخليفة المعز لدين الله، والقصر الصغير او القصر الغربي، الذي أنشأه الخليفة العزيز بالله، وخصص فيما بعد لإقامة الأميرة ست المُلك. المقريزي، الخطط المقريزية،ج٣، ص٥٣.

(١٠٣) الفاسي، وصف افريقيا، ج٢، ص٢٠٥.

(١٠٤) سفرنامه، ص١٢١.

(١٠٥) المقريزي، الخطط المقريزية، ج٢، ٢٤١.

(١٠٦) المقريزي، المصدر نفسه، ج٢، ص١٧٣.

(١٠٧) يعقوب بن كلس: ابو الفرج يعقوب بن كلس وزير الخليفة العزيز بالله الفاطمي، وكان يهودياً ثم اسلم، ويُعد اول وزير للدولة الفاطمية في الديار المصرية سنة (٣٦٨هـ/٩٧٨م)، ولما توفي سنة (٣٨٠هـ/٩٩٠م)، حزن عليه الخليفة العزيز بالله حزناً شديداً وحضر جنازته وصلى عليه. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٩، ص٧٧؛ السيوطي، حسن المحاضرة، ج٢، ص٢٠١؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج٢، ص٤٤١.

(١٠٨) المقريزي، الخطط المقريزية، ج٣، ص١٨٩.

(١٠٩) الكفت هو مايلون به معدن النحاس والفضة والذهب، المقريزي، الخطط المقريزي، ج٣، ص١٩٠.

(١١٠) المقريزي، المصدر نفسه، ج٣، ١٧٨.

(١١١) حارة برجوان: نسبت هذه الحارة لبرجوان الخادم، الذي كان من خدام القصور في ايام العزيز بالله ، ثم اصبح وصياً على الحاكم بأمر الله من قبل والده العزيز، وذلك لثقته به، فدبر شؤون الحكم، قتل سنة (٣٨٩هـ/٤١٤م)، بأمر الخليفة الحاكم بأمر الله تقع في المنطقة التي يتوسطها شارع وحارة برجوان ومايتفرع عنهما من الأزقة بقسم الجمالية. القلقشندي، صبح الأعشى،ج٣، ص٣٥٦؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٤، ص٥١-٥٢.

(١١٢) بدر الجمالي: من مماليك الدولة الفاطمية، ارمني الأصل كان مملوكاً لجمال الدولة بن عمار، لذلك قيل له بدر الجمالي، كاتبه الخليفة المستنصر بالله عندما ساءت احوال مصر الداخلية، ثم استوزره وتحكم في البلاد، تحكم الملوك توفي سنة (٤٨٧هـ/١٠٩٤م). ابن الصيرفي، الإشارة الى من نال الوزارة، ص٥٥.

(١١٣) المقريزي، الخطط المقريزية، ج٣، ١٧٣.

(١١٤) المقريزي، المصدر نفسه، ص١٧٣-١٧٤.

(١١٥) حمام الرومي: يقع هذا الحمام بجوار حارة برجوان، وعرفت بأسم الأمير سنقر الرومي الصالحي، احد الأمراء ايام الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقاري: المقريزي، الخطط المقريزية، ج٣، ص١٥١.

(١١٦) حمام سويد: يقع هذا الحمام بأخر سويقة امير الجيوش، عرفت بهذا الأسم نسبة إلى الأمير عز الدين معالي بن سويد. المقريزي، الخطط المقريزية، ج٣، ص١٥١.

(١١٧) سفرنامه، ص٢٨.

(١١٨) المقريزي، الخطط المقريزية، ج٢، ص١٩٤.

(١١٩) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج١، ص١٨٦-١٨٧.

(١٢٠) النويري، نهاية الارب، ج٨، ص١٢٨.

(١٢١) القلقشندي، صبح الاعشى، ج٣، ص٤٨٣.

(١٢٢) المقريزي، الخطط المقريزية، ج٢، ص٥١٧.

(١٢٣) المقريزي، المصدر نفسه، ج١، ص٤٦٣.

(١٢٤) القلقشندي، المصدر نفسه، ج١، ص٢١٢.

(١٢٥) الامين، اسواق القاهرة في العصر الفاطمي، ص١٠٨.

(١٢٦) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج١، ص١٨٨.

(١٢٧) المقريزي، المصدر نفسه، ج١، ص١٩٠-١٩١.

(١٢٨) المقريزي، المصدر نفسه، ج١، ص١٩١.

(١٢٩) المقريزي، اغاثة الامة، ص١٠-١١.

(١٣٠) ابن ميسر، اخبار مصر، ج٢، ص٤٥. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج١، ص٢١٠، اغاثة الامة، ص١١. الخطط المقريزية، ج٣، ص١٠.

(١٣١) القلقشندي، المصدر نفسه، ص٤٨٣.

(١٣٢) سلطان، نظم الفاطميين ورسومهم، ص٦٧.

(١٣٣) المقريزي، المصدر نفسه، ج١، ص٣٧٦.

(١٣٤) متولي الستر: لم ترد في كتاب صبح الاعشى اية ذكر لها، وعلى مايبدو ان هذه الوظيفة كانت تخص شؤون حريم قصر الخلافة الفاطمية وادارة اعمالها، ولم نعثر على ذكر اخر لها في كتب التاريخ سوى اشارة واحده لدى ابن الجوزي في سنة (٤٧٢هـ/١٠٨٠م)، بتعيين محتسب خاص بشؤون حريم القصر في بغداد. المنتظم، ج١٦، ص٢٠٥.

(١٣٥) مسعود الصقلبي: هو أبو الفتوح مسعود الصقلبي. المقريزي، إغاثة الأمة، ص١٢.

(١٣٦) المقريزي، اغاثة الامة، ص١٢.

(١٣٧) غبن الصقلبي: وهو من خدام الخليفة الحاكم بأمر الله، كان أسود اللون، تولى منصب الحسبة والشرطة والنظر في جميع الأعمال، ثم غضب عليه الخليفة الحاكم فقطع يده ولسانه حتى مات سنة (٤٠٥هـ/١٠١٤م). ابن سعيد المغربي، النجوم الزاهرة، ص٦٣.

(١٣٨) ابن الصيرفي، الاشارة الى من نال الوزارة، ص٣٥.

(١٣٩) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٤، ص١٨٤.السيوطي، حسن المحاظرة، ج١، ص٤٦٥،ابن اياس، بدائع الزهور، ج١و ص٢٠١.

(١٤٠) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج١، ص٣٩٨-٣٩٩.

(١٤١) المقريزي، المصدر نفسه، ج١، ٣٤٣.

(١٤٢) المقريزي، اغاثة الامة، ص١٨-١٩.

(١٤٣) المكس: نوع من انواع الظرائب لدى العرب منذ الجاهلية، تفرض على التجار خارج حدود الشريعة الاسلامية. المقريزي، الخطط المقريزية، ج٣، ص٤٠٣.

(١٤٤) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج١، ص٣٨٤.

(١٤٥) المقريزي، المصدر نفسه، ج١، ص٣٨٧.

(١٤٦) ابن الصيرفي، الاشارة الى من نال الوزارة، ص٣٠-٣١.

(١٤٧) المقريزي، المصدر نفسه، ج١، ص٣٥١.

(١٤٨) العميدي: أبو سعيد محمد بن أحمد بن محمد، نحوي لغوي، أديب مصنف سكن مصر وتولى ديوان الترتيب، وعزل عنه سنة (٤١٣هـ/١٠٢٢م) في ايام الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله، ثم ولي ديوان الانشاء في ايام الخليفة المستنصر بالله سنة (٤٣٢هـ/١٠٤٠م) عوضاً عن ابي خيران الكاتب، وله مصنفات في الادب وعلوم القرآن، وتوفي سنة (٤٣٣هـ/١٠٤١م). المسبحي، أخبار مصر، ص٣٣.

(١٤٩) المسبحي، المصدر نفسه، ص٣٣.

(١٥٠) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص١١-١٢.

(١٥١) المقريزي، المصدر نفسه، ج٢، ص٢٣.

(١٥٢) القلقشندي، صبح الاعشى، ص٣٦٠.

(١٥٣) ذخيرة الملك: جعفر بن علوان، فقد ولاه الخليفة الآمر بأحكام الله ولاية القاهرة والحسبة في سنة (٥١٢هـ/١١١٨م)، فاشتد عسفه وظلمه للناس. ابن المأمون، نصوص من أخبار مصر، ٤٧؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص١٧٦؛ الخطط المقريزية، ج٤، ص٧١٣.

(١٥٤) ابن المأمون، نصوص من اخبار مصر، ص٤٧.

(١٥٥) المقريزي، اغاثة الامة، ص٩٣.

(١٥٦) ابن المأمون، المصدر نفسه، ص٧٠.

(١٥٧) الشيرازي، نهاية الرتبة، ص٢١٥.

(١٥٨) الشيرزي، المصدر نفسه، ص٢٧٤.

الرسائل الجامعية:

١. امين: هدى عبد الغفور:
الحسبة في الاسلام ودورها في الحفاظ على البيئة، رسالة ماجستير منشورة، مركز الملك فيصل للدراسات، الرياض، ٢٠١٠م.

٢. الحدراوي: وسيم عبود.
أثر الأزمات الاقتصادية والكوارث الطبيعية في مصر خلال العصر الفاطمي (٣٥٨- ٥٦٧هـ)، اطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة القادسية، العراق، ٢٠٠٩م.

المصادر:

٣. القران الكريم

٤. ابن الاثير: محمد بن عبد الكريم الشيباني(ت٦٣٠هـ).
الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي، بيروت، لا ت.

٥. ابن أياس: محمد بن احمد الحنفي(ت٩٣٠هـ).
بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، دار النشرات الاسلامية، القاهرة، ١٩٧٥م.

٦. ابن الاخوة: محمد بن احمد القرشي(ت٧٢٩هـ).
معالم القربة في احكام الحسبة، أعتناء روبن ليوي، كامبرج، ١٩٣٧م.

٧. ابن ابي الدنيا: ابو بكر عبد الله بن محمد (ت٢٨١هـ).
الاخلاص والنية، دار الكتب العلمية، بيروت، لا ت.

٨. الازهري: ابي منصور محمد بن احمد(ت٣٧٠هـ).
تهذيب اللغة، دار احياء التراث العربي، تقديم فاطمة محمد، بيروت، لا ت.

٩. ابن بسام: محمد بن احمد(ت ٨٤٤هـ).

نهاية الرتبة في طلب الحســـبة، تحقيق محمد حس، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لا ت.

١٠. البهيقي: احمد بن الحسن بن علي(ت٤٥٨هـ).
السنن الكبرى، دائرة المعارف العثمانية، الهند، ١٩٣٦م.

١١. الترمذي: محمد بن عيسى بن سورة(ت ٢٧٩هـ).
سنن الترمذي، تحقيق حسن بشار، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ١٩٩٦م.

١٢. ابن تغري بردي: ابو المحاسن جمال الدين يوسف(ت ٨٧٥هـ).
النجوم الزاهرة في اخبار مصر والقاهرة، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٢٩.

١٣. ابن الجوزي: ابو الفرج عبد الرحمن بن محمد القريشي البغدادي(ت٥٩٧هـ).
المنتظم في تاريخ الملوك والامم، القاهرة، ١٩٧٦م.

١٤. ابن حجر: ابو الفضل احمد بن علي العسقلاني(ت ٨٥٢هـ).
انباء الغمر بأبناء العمر، تحقيق حسن حبشي، المجلس، القاهرة، ١٩٦٩م.

١٥. حاجي خليفة: (ت١٠٦٧هـ).
كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون، تحقيق كمال الدين احسان، مؤسسة الفرقان، لندن، ٢٠٢١م.

١٦. خسرو : ناصر خسرو(ت٤٨١هـ).
سفرنامة، ترجمة يحيى الخشاب، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٧٠م.

١٧. ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد(ت٨٠٨هـ).
المقدمة، مطبعة الكشاف، بيروت، لا ت.

١٨. ابن دقماق: ابراهيم بن محمد بن اديمرالعلائي(ت ٨٠٩هـ).
الانتصار لواقعة عقد الامصار، المكتب الجغرافي للطباعة والنشر، بيروت، لا ت.

١٩. ابن زكريا: ابي الحسن احمد بن فارس(ت ٣٩٥هـ).
معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجبل ، بيروت، ٢٠٠٨م.

٢٠. السخاوي: شمس الدين بن محمد بن عبدالرحمن(ت٩٠٢هـ).
الضوء الالمع في اخبار القرن التاسع، دار مكتبة الجنان، بيروت، لا ت.

٢١. السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن(ت ٩١١هـ).
حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٤م.

٢٢. الشيرازي: عبد الرحمن بن نصير(ت ٥٨٩هـ).
نهاية الرتبة في طلب الحسبة، الباز العريني، مطبعة لجنة التأليف، القاهرة، ١٩٧٧م.

٢٣. الصاحب بن عباد: اسماعيل بن عباد(ت ٣٨٥هـ).
المحيط في اللغة، تحقيق محمد حسن ال ياسين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٤م.

٢٤. الطبراني: ابو القاسم سليمان بن احمد(ت ٣٦٠هـ).
المعجم الوسيط، تحقيق طارق بن عوض الله، دار الحرميين، القاهرة، ١٩٩٥م.

٢٥. الطبري: محمد بن جرير الطبري(٣١٠هـ).
تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد ابو الفضل، ط٤، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٧.

٢٦. ابن الطوير: أبو محمد المرتضى عبد السلام بن الحسن الفهري(ت٥١٧هـ).
نزهة المقلتيذن في أخبار الدولتين، تحقيق أيمن فؤاد، النشرات الإسلامية، القاهرة، ١٩٩٢م.

٢٧. ابن العماد: شهاب الدين ابو الفلاح الحنبلي الدمشقي(ت ١٠٨٩هـ).
شذرات الذهب في اخبار من ذهب، تحقيق عبد القادر ارناؤوط، ط١، دار ابن كثير، دمشق، ١٩٩٣م.

٢٨. ابن عبد الظاهر: محي الدين عبد الله بن عبد الظاهر المصري(ت٦٩٢هـ).
الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة، تحقيق ايمن فؤاد السيد، نشر اوراق شرقية، بيروت، ١٩٩٦م.

٢٩. ابن عبد الحكم: عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الحكم (ت٢٥٧هـ).
فتوح مصر والمغرب والاندلس، تحقيق محمد نجم، دار القرضاني، القاهرة، ١٩٩٤م.

٣٠. الغزالي: ابو حامد محمد بن محمد الغزالي(ت٥٠٥هـ).
احياء علوم الدين، تحقيق بدوي طبانة، ط١، دار الجبل، بيروت، ١٩٩٢م.

٣١. الفاسي: الحسن بن محمد الوزان الزياتي(ت٩٥٨هـ).

كتاب وصف افريقيا، ترجمة من الفرنسية محمد حجي ومحمد الاخضر، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، المغرب، لا ت.

٣٢. الفيروزابادي: محمد بن يعقوب(ت ٨٥٥هـ).
القاموس المحيط، مؤوسسة الحلبي، القاهرة، ١٨٩٥م.

٣٣. القلقشندي: ابو العباس احمد بن علي(ت ٨٢١هـ).
صبح الاعشى في صناعة الانشأ، المطبعة الاميرية، القاهرة، ١٩٩٦م.

٣٤. ابن كثير: ابو الفدا اسسماعيل بن عمر الدمشقي(ت٧٧٤هـ).
البداية والنهاية، تحقيق احمد بن ملحم واخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م.

٣٥. الكندي، ابو عمر محمد بن يوسف(ت ٣٥٥هـ).
كتاب الولاة وكتاب القضاة، مطبعة الاباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٠٨م.

٣٦. ابن المأمون: الامير جمال الدين ابو علي موسى(ت٥٨٨هـ).
أخبار مصر، تحقيق أيمن فؤاد السيد، المعهد الفرنسي للاثار الشرقية، القاهرة، ١٩٨٣م

٣٧. الماوردي: ابو الحسن علي بن حبيب البصري(ت ٤٥٠هـ).
الاحكام السلطانية، دار الحديث، القاهرة، لا ت.

٣٨. المسبحي: الامير المختار عز الملك محمد بن عبد الله بن احمد(ت٤٢٠هـ).
نصوص ضائعة من اخبار مصر، جمعها ايمن فؤاد السيد، القاهرة، ١٩٦٥م.

٣٩. المقدسي: شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر(ت٣٧٥هـ).
أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة بريل، ليدن، ١٩٠٩م.

٤٠. المقري: احمد بن محمد المقري التلمساني(ت ١٠٤١هـ).
نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، دار صادر، بيروت، لا ت.

٤١. المقريزي: تقي الدين احمد بن علي(ت٨٤٥هـ).
اتعاظ الحنفا بأخبار الائمة الفاطميين الخلفا، تحقيق جمال الدين سرور، لجنة احياء التراث الاسلامي، القاهرة، ١٩٦٧م.
الخطط المقريزية، منشورات دار احياء العلوم، لبنان، لا ت.
أغاثة الامة بكشف الغمة، تقديم سعيد عبد اللفتاح، دار الهلال، بيروت، ١٩٩٠م.

٤٢. ابن منجب الصيرفي: أمين الدين تاج الرياسة ابو القاسم علي(ت٥٤٢هـ).
الاشارة الى من نال الوزارة، تحقيق عبد الله مخلص، القاهرة، ١٩٢٤م.

٤٣. ابن منظور: محمد بن مكرم المصري(ت٧٦١هـ).
لسان العرب، مطبعة بولاق ، القاهرة، ١٩٤٩م.

٤٤. ابن ميسر: تاج الدين محمد بن علي بن يوسف(ت٦٧٧هـ).
أخبار مصر، تحقيق ايمن فؤاد السيد، المعهد الفرنسي للاثار، القاهرة، ١٩٨١م.

٤٥. النويري: شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب(ت ٧٣٢هـ).
نهاية الارب في فنون الادب، المؤسسة المصرية للتأليف والطباعة والنشر، لا ت.

٤٦. ابن ابي يعلي: ابو الحسين محمد(ت٥٢٧هـ).
الاحكام السلطانية، تحقيق محمد حامد الفقي، القاهرة، ١٩٥٢م.

المراجع:

٤٧. الامين: الشيخ محمد عوض الله الامين
اسواق القاهرة منذ العصر الفاطمي حتى نهاية عصر المماليك، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٤م.

٤٨. حسن: حسن إبراهيم.
تأريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسوريا وبلاد العرب ،ط٣، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ، ١٩٦٤م.

٤٩. أبو زيد: سهام مصطفى.
الحسبه في مصر الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٦م.

٥٠. سلطان: عبد المنعم.
الاسواق في العصر الفاطمي، مؤسسة شباب الجامعة، القاهرة، ١٩٩٧م.

٥١. ماجد: عبد المنعم.
نظم الفاطميين ورسومهم في مصر، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٣م.

References

1. The wholly Qur'an
2. Ibn al-Athir, M. (no date). The Complete History, Dar al-Kitab al-Arabi, Beirut,.
3. Ibn Ayas, M. (1975). Badai' al-Zuhur fi Waqa'i' al-Duhur, edited by Muhammad Mustafa, Dar al-Nashrat al-Islamiyyah, Cairo.
4. Ibn Al-Akhwa, M. (1937). Landmarks of Proximity in the Rulings of Hisbah, edited by Robin Lewy, Cambridge.
5. Ibn Abi Al-Dunya, A. (no date). Sincerity and Intention, Dar Al-Kotob Al-Ilmiyyah, Beirut.
6. Al-Azhari, A. (no date). Refinement of the Language, Dar Ihya' al-Turath al-Arabi, presented by Fatima Muhammad, Beirut.
7. Ibn Bassam, M. (no date). The End of Rank in Seeking Hisbah, edited by Muhammad Has, 1st ed., Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut.
8. Al-Bayhaqi, A. (1936). Al-Sunan Al-Kubra, Ottoman Encyclopedia, India.
9. Al-Tirmidhi, M. (1996). Sunan Al-Tirmidhi, edited by Hassan Bashar, Dar Al-Gharb Al-Islami, Beirut.
10. Ibn Taghri Birdi, A. (1929). The Shining Stars in the News of Egypt and Cairo, Egyptian National Library, Cairo.
11. Ibn al-Jawzi, A. (1976). Al-Muntazam fi Tarikh al-Muluk wa al-Umam, Cairo.
12. Ibn Hajar, A. (1969). News of the Flood of the Sons of Life, edited by Hassan Habashi, Al-Majlis, Cairo.
13. Haji Khalifa: (2021). Kashf al-Zunun an Asma' al-Kutub wa al-Funun, edited by Kamal al-Din Ihsan, Al-Furqan Foundation, London.
14. Khosrow, N. (1970). Safarnama, translated by Yahya al-Khashab, Dar al-Kitab al-Jadid, Beirut.
15. Ibn Khaldun, A. (no date). Introduction, Al-Kashaf Press, Beirut.
16. Ibn Duqmaq, I. (no date). The Victory of the Event of the Contract of the Countries, Geographical Office for Printing and Publishing, Beirut.

17. Ibn Zakariya, A. (2008). Dictionary of Language Standards, edited by Abdul Salam Haroun, Dar Al-Jabal, Beirut.
18. Al-Sakhawi, S.(no date). The Brightest Light in the News of the Ninth Century, Dar Maktabat al-Janan, Beirut.
19. Al-Suyuti, J.(2004). Hassan al-Muhadhara fi Akhbar Misr wa al-Qahira, edited by Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, Al-Asriya Library, Beirut.
20. Al-Shirazi, A. (1977). The End of Rank in Seeking Hisbah, Al-Baz al-Arini, Authorship Committee Press, Cairo.
21. Al-Sahib Ibn Abbad, I. (1994). Al-Muheet in Language, edited by Muhammad Hasan Al-Yassin, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut.
22. Al-Tabarani, A. (1995). Al-Mu'jam Al-Wasit, edited by Tariq bin Awad Allah, Dar Al-Haramayn, Cairo.
23. Al-Tabari, M. (1997). History of the Prophets and Kings, edited by Muhammad Abu al-Fadl, 4th ed., Dar al-Maarif, Cairo.
24. Ibn al-Tawi,: A. (1992). The Excursion of the Two Nation's People in the News of the Two States, edited by Ayman Fouad, Islamic Publications, Cairo.
25. Ibn Al-Imad, S. (1993). Nuggets of Gold in the News of Those Who Have Passed, edited by Abdul Qader Arnaout, 1st ed., Dar Ibn Kathir, Damascus.
26. Ibn Abd al-Zahir, M. (1996). The Brilliant and Brilliant Garden in the Plans of the Consolation, Cairo, edited by Ayman Fouad al-Sayyid, published by Eastern Papers, Beirut.
27. Ibn Abd al-Hakam, A. (1994). The Conquests of Egypt, Morocco and Andalusia, edited by Muhammad Najm, Dar al-Qardani, Cairo.
28. Al-Ghazali, A. (1992). Revival of the Religious Sciences, edited by Badawi Tabana, 1st ed., Dar al-Jabal, Beirut.
29. Al-Fasi, A, (no date). Description of Africa, translated from French by Muhammad Hajji and Muhammad Al-Akhdar, Publications of the Moroccan Association for Authorship, Translation and Publishing, Morocco.
30. Al-Fayruzabadi, M. (1895). Al-Qamoos Al-Muhit, Al-Halabi Foundation, Cairo.

31. Al-Qalqashand,: A. (1996). Subh al-A'sha in the Art of Construction, Al-Amiriya Press, Cairo.
32. Ibn Kathir, A. (1987). The Beginning and the End, edited by Ahmad bin Malham and others, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut.
33. Al-Kindi, A. (1908). The Book of Governors and the Book of Judges, Jesuit Fathers Press, Beirut.
34. Ibn al-Ma'mun, J. (1983). Akhbar Misr, edited by Ayman Fouad al-Sayyid, French Institute of Oriental Archaeology, Cairo.
35. Al-Mawardi, A. (no date). The Sultanic Rulings, Dar al-Hadith, Cairo.
36. Al-Masbahi, I. (1965). Lost Texts from the News of Egypt, collected by Ayman Fouad al-Sayyid, Cairo.
37. Al-Maqdisi, Sh. (1909). The Best Divisions in Knowing the Regions, Brill Press, Leiden.
38. Al-Maqri, A. (no date). A fragrant breeze from the moist branch of Andalusia, Dar Sadir, Beirut.
39. Al-Maqrizi, T. (1967). Iti'az al-Hanafi bi-Akhbar al-Imams al-Fatimid al-Khalifa, edited by Jamal al-Din Surur, Islamic Heritage Revival Committee, Cairo.
40. Al-Maqrizi, T. (no date). Al-Maqrizi's Plans, published by Dar Ihya al-Ulum, Lebanon.
41. Al-Maqrizi, T. (1990). Agathat al-Ummah bi-Kashf al-Ghummah, introduced by Saeed Abdul Fattah, Dar al-Hilal, Beirut.
42. Ibn Munjib al-Sayrafi, A. (1924). Reference to those who attained the ministry, edited by Abdullah Mukhlis, Cairo.
43. Ibn Manzur, M.(1949). Lisan al-Arab, Bulaq Press, Cairo.
44. Ibn Maysar, T. (1981). News of Egypt, edited by Ayman Fouad al-Sayyid, French Institute of Archaeology, Cairo.
45. Al-Nuwayri, Sh. (no date). Nihayat al-Arab in the Arts of Literature, Egyptian Institution for Authorship, Printing and Publishing.
46. Ibn Abi Ya'la, A. (1952). The Sultanic Rulings, edited by Muhammad Hamid al-Faqih, Cairo.